

النهضة العربية في كتابات جورج أنطونيوس

مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إشراف الأستاذ:

أ.د/ كمال بيرم

إعداد الطالب:

- سيد الملكي عامر

لجنة مناقشة متكونة من السادة الأساتذة الآتية:

الصفة	المؤسسة الجامعية	إسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	أ.د/ صالح بن قبي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	أ.د/ كمال بيرم
مناقشا	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	أ.د/ لعياضي حفيظة

السنة الجامعية: 2025-2026م الموافق لـ 1446-1447هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٣٨

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتحقق الغايات، نحمده سبحانه حمدا كثيرا على ما من به علينا من توفيق وإعانة في إنجاز هذا العمل وإتمامه، فلولا فضله وتيسيره لما تمكنا من بلوغ هذه المرحلة وإخراج هذه المذكرة إلى حيز الوجود.

وفي هذا المقام، نتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور: كمال بيرم الذي رافق هذا العمل منذ بداياته الأولى، وقدم لنا توجيهات علمية قيمة وملاحظات بناءة ساهمت في توجيه مسار البحث وإثرائه. كما كان لاهتمامه ومتابعته المستمرة أثر كبير في إنجاز هذه المذكرة على الوجه المطلوب، فله منا جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على تفضلهم بقبول قراءة هذه المذكرة وتقييمها، وعلى ما سيقدمونه من ملاحظات علمية وتوجيهات قيمة من شأنها أن تسهم في تطوير هذا العمل وإثرائه. فجزاهم الله خير الجزاء على جهودهم العلمية وعلى الوقت الذي خصصوه لقراءة هذا البحث ومناقشته.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، والذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد أولاً وأخراً على ما أنعم به علي من قوة وصبر حتى أصل إلى هذه اللحظة التي أقطف فيها ثمرة سنوات طويلة من الاجتهاد والسهر والتعب. أهدي هذا العمل المتواضع، ثمرة جهدي وسنوات دراستي، إلى من كانوا النور الذي أضاء طريقي، والسند الذي لم يخذلني يوماً.

إلى والدي العزيزين اللذان علماني معنى الحياة، وغرسا في نفسي حب الطموح والتعلم، وإلى من ضحيا بالكثير من أجلي، وتحملا المشقة والتعب حتى أصل إلى ما أنا عليه اليوم.

إليكما أهدي هذا النجاح وهذا التخرج، عرفانا بجميلكما الذي لا يمكن أن تفيه الكلمات حقه.

إلى أخي وأخواتي الأعزاء الذين كانوا دائماً مصدر دعم وسعادة في مشواري هذا، والذين شاركوني لحظات التعب والأمل، وكانوا خير سند ورفيق في مسيرتي.

إلى كل أفراد عائلتي الذين شجعوني وآمنوا بقدرتي على النجاح، وكانوا دائماً فخورين فلكم مني خالص المحبة والامتنان. إلى أساتذتي الأفاضل

بفضلهم أنيرت لنا طريق العلم والمعرفة، وبذلوا جهوداً كبيرة في تعليمنا وتوجيهنا، وكان لهم الفضل الكبير بعد الله في تكويننا العلمي، فجزاهم الله عنا كل خير وجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم.

إلى كل صديق صادق

كان إلى جانبي في هذه المرحلة، وشاركني لحظات الجهد والاجتهاد، وساندني بالكلمة الطيبة والتشجيع. ذ

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، ولو بكلمة أو دعوة صادقة.

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع، راجياً من الله أن يكون خطوة أولى نحو مستقبل مليء بالنجاح والعطاء،

وأن أكون دائماً عند حسن ظن كل من دعمني ووقف إلى جانبي في هذه المسيرة وشكراً.

مقدمة

مرت الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية على يد المغول عام 1257م بحالة من التراجع بدأت بإنهيار الخلافة الإسلامية وتعاقبت على السلطة عدة سلالات منها الأتراك ومنها الفرس ومن هذه الحالة لم ترى ثباتا ولا إستقرارا بداية من القرن 14م لعدة أسباب وصولا إلى سقوط غرناطة 1492م معلنة نهاية العصر الذهبي.

ثم تأتي الى مرحلة الخلافة العثمانية حيث حاولت إلى إعادة بعث مجد الأمة الإسلامية بداية من العام 1516م جاهدة بذلك في المحافظة على هذا الدور الذي تستقر عنده الأمة الإسلامية ولكن هاذا ما صعب في أواخر الخلافة العثمانية فتعد أكثر المراحل سوادا في تاريخها وتاريخ الأمة الإسلامية في دينها ولغتها وتاريخها . وأنتهى بها المآل إلى دفع البلاد الإسلامية تحت النفوذ الإستعماري ، حينها علت بعض الأصوات الفكرية بمختلف أقطابها من هنا وهناك كمحاولة لإعادة بعث أمجاد الأمة الإسلامية ونهضتها من جديد وذلك بداية من القرن 19م .

حيث ظلت المجتمعات العربية لفترة طويلة تزيد عن قرن وأكثر من الزمان بزخم كبير من الأفكار وبروز تيارات وتحولات سياسية التي شهدها المشرق العربي والعالم الإسلامي في أواخر هذا القرن وبداية القرن ال 20م .

ما ميزها بجملة من المتغيرات الفكرية والإجتماعية والسياسية التي أسهمت في إعادة تشكيل ما يعرف بالوعي العربي وبرزت خلالها عدة دعوات وتوجهات تصب في حياض الإنتماء العربي وبحث السبل في النهوض بالمجتمعات في مواجهة كل التحديات وأخذت عدة أشكال وألوان فكرية وإن إختلفت التيارات والإيديولوجيات ولتوجهات والنظريات في البلاد العربية إلا أنها سعت إلى إيجاد حل لمضلة التخلف وما أنجز عنها من تبعات سياسية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية وفكرية إنها النهضة أو قل : هذه اليقظة أو الإستفاقة العربية القومية.

فتعد النهضة العربية تحت ضوء أنطونيوس بأنها مجموعة من التحولات الفكرية والسياسية والثقافية التي شهدتها المشرق العربي والتي أسهمت في تكوين وعي عربي جديد نهاية القرن الـ19م ولم تكن مجرد حركة أدبية أو ثقافية فقط بل إرتبطت بالحركة الفكرية وهذا ما سماعا باليقظة العربية الصحيحة ، حيث أعقبت ذلك بأعمال الإرساليات التبشيرية في التربية والتعليم لا سيما الإرساليات التبشيرية الإنجيلية الأمريكية في الربع الثاني من القرن الـ19م فقد وضح ما غفل عنه العديد من الكتاب بأن أسس اليقظة العربية أدبية وثقافية وهي مرتبطة إرتباطا وثيقا يعزز وحدة العرب الروحية وبقائها من التفتت والإنهيار .

وتعد النهضة في الفكر العربي على مستوى الدلالة اللغوية بمعنى : نهض ، ينهض نهوضا ، أي قام ونهض من مكانه والنهضة : الطاقة والقوة . وجاء أيضا ، بمعنى " الوثبة في سبيل التقدم لإجتماعي أو غيره ... ويقال النهاض : الدؤوب عل أن يسلك سبيل التقدم ، فالنهضة عند العرب تعني القيام والحركة .

وقد إجتمع جميع روادها بأنها تهدف إلى تحرير العقل من التبعية والجمود ونشر التعليم والمعرفة والإنصهار بما خلفته النهضة الأوروبية من نظريات وخبرات تبعث بميلاد جديد لمقومات المجتمع العربي بشرط أن تحافظ على التراث والهوية وبين الإستفادة من الأفكار والأساليب الحديثة ، فالنهضة في تصوره هي الإنتقال من مجال فكري وثقافي إلى مجال سياسي وقومي وهذا مشرعه . ويؤكد أنطونيوس أن العامل الثاني القومية يكمن بالمتغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة وصولا إلى الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليها من تطورات في القضية العربية.

جاء أنطونيوس في كتابه هذا على ذكر مختصر للبيئة العربية في إطارها التاريخي والجغرافي متتبعا مسارها الإسلامي والتعريبي مع تحديده للرقعة الجغرافية كما عرف مدلول كلمة "عرب" في وقتنا هذا وانتهى في الفصل الأول إلى الفتح العثماني في القرن الـ16م وإلى الإدارة العثمانية في البلدان العربية المحتلة حتى مطلع القرن الـ19م ثم أنتقل إلى العقود

الأولى من القرن الـ20م ما عرفه بمرحلة التبلور القومي مبرزاً محطة حاسمة سماها بالتحول السياسي مختتماً بالشام والعراق ما بعد الحرب والإنتداب على البلاد العربية إذ ما أن ظهر حتى جرى إسمه على ألسنة الناس وأصبح رمزاً للحركة القومية الحديثة من الخليج العربي شرقاً حتى المحيط الأطلسي في الغرب.

وفي سياق ما تقدم وقع إختياري الشخصي على هذا الموضوع وبالأخص المواضيع الفكرية التي أثارت جدلاً واسعاً بأني مهتم بتاريخ الفكر العربي الحديث وما آلت إليه البلاد العربية من الأحوال وما لحقها من ضعف وهوان وكيف تناغمت التيارات بل وكيف أنشئ وعيها القومي ومعرفة ما إذا كان قد إستفاد المنظرين والمفكرين من التجربة الغربية التي هي بدورها أستفادت من العصر الإسلامي الذهبي . وعلى أي مدى ساهمت هاته الشخصيات وعلى رأسها أنطونيوس وعلى نقاط القوة والضعف في أطروحته وغربلتها مع الأطروحات الأخرى . أما على الصعيد الموضوعي : هل فعلاً تجسدت النهضة من خلال تغيير خارطة العالم وماهي المساعي التي توصلنا إلى الإلتحاق بالركب ومعرفة ما آلت إليه الطموحات والأطروحات العربية وما تركت من أثر على كل الأصعدة ، حيث كان الهدف من الدراسة كيف نظر أنطونيوس للنهضة العربية وكيفية العمل عليها أي إسهاماته عن طريق التأليف والكتابة وما بذل من جهود في جمع كل ما يتعلق بالمشروع في إلتقائه ببعض الشخصيات البارزة التي صنعت الحدث وما حصل عليه من وثائق مهمة مصدرة دونت لنا تفاصيل تفاصيل دقيقة وضعتنا في قلب الحدث وهذا ما يوضح لنا المعرفة السهلة للأسباب والمظاهر والتعرف على الرواد والتفريق بين النهضة العربية وما سبقها من نهضة علمية وأدبية وبيان تنامي الوعي القومي وتتبع مراحل تطوره وأنه يعتبر واحد من القامات التاريخية التي تركت بصمة ومكانة فريدة .

ومن خلال ما سبق نطرح جملة من التساؤلات التي أردنا ان نتبع أثرها وهي كالتالي:

-ماذا تعني النهضة أو اليقظة العربية ؟ - وماهي عوامل ظهورها ؟ - وماهي الطرق والوسائل التي أنتقلت بها إلى المشرق رغم الأوضاع التي كان يعيشها في نهاية القرن ال 19م ؟

-وكيف تناغمت مع الإصلاحات العثمانية ؟
وماهي الإسهامات المبذولة في النهضة من طرف الرواد في واقع ميزه التقارب والتباعد مع الغرب ؟
-وماهو مشروع القومي العربي لانطونيوس ؟ - وإلى أي مدى تجسد فكره وعلى ماذا أرتكز ؟

-وماهي الصورة التي رسمها حتى تركت أثرا عميقا بين مؤيد ومعارض ؟
ولكي نجيب على هذا الإشكال إعتدنا خطة كيفنا فيها قدر المستطاع ما يمكن ملامسته في أطراف البحث .

حيث جعلت الفصل الأول بإطار مفاهيمي وتاريخي من تعريف وعوامل وما ترتب عليها من خصائص . وفي ضوء السياق مرورا بالأوضاع البلاد العربية مطلع القرن ال 19م وما برز لنا من تيارات أسهمت بأطروحاته من تقارب وتباعد . ثم وضمنا فصلا ثانيا خاصا بأنطونيوس تكلمنا فيه عن حياته وأعماله وتكوينه الفكري ومنهج كتاباته وكيف إحتل بفضلها مكانة لدى الوسط العربي

وختمنا بفصل ثالث عن هاته النهضة والقومية كما صورها أنطونيوس وهذا ما لاقا إحسانا من مؤيد ونقدا من معارض ،كما وضمنا قيمته الفكرية.

المنهج المتبع

من أجل الإجابة على الإشكال المطروح والخطة المبينة أدناه وعلى ضوء هذا العرض إعتدنا على منهج بما يخدم الدراسة المتمثل فيما يلي :

- المنهج التاريخي : لأهميته في رصد التراكمات التاريخية ومقاربتها بواقع الأحداث التي يمر بها العالم العربي وعن إرهاصات النهضة مع مراعاة ظروف تشكلها.
- المنهج التحليلي : قمنا بتحليل فكره النهضوي وأهم ما جاءت به أفكاره السياسية والفكرية التي قام عليها مشروعه .

أهم المصادر المعتمدة

بالنسبة للمادة العلمية التي إعتمدت عليها في إنجاز هذا البحث وهو البدء بكتابه يقظة العرب التي غالبا ما مس كل جوانب البحث والحوار والحصري التي تعد كتاباتهما إرثا أسس للفكر العربي ولا ننسى الكواكبي التي كانت له الأسبقية في تنظير النهضة العلمية والأدبية رفقة بطرس البستاني وناصر اليازجي وعلي محافظة الذي يعتبر مقارن لأنطونيوس في النهضة وعابد الجابري الذي تكلم عن النهضة من زاوية فكرية ونقدية ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني خصاصا في التيارات حيث جمعوا بين الإصلاح العقدي وإحياء الوعي الفكري والسياسي والخروج من ظلمات الجهل إلي نور الفهم.

الصعوبات

- أما عن الصعوبات التي واجهتها في بحثي هذا وهو :
- تضيق الوقت بكل صراحة فمثل هاته المواضيع الفكرية التي تحتوي على أرمادة من إرث الرواد الذين عاشوا الحدث فوجدت صعوبة في عملية النقد والتحليل وفي توجه أبعادها الفكرية وفي ظل الأوضاع التي عاشتها المنطقة العربية

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

المبحث الأول: مفهوم النهضة العربية

المطلب الأول: تعريف النهضة العربية لغة اصطلاحاً

المطلب الثاني: عوامل ظهور النهضة العربية

المطلب الثالث: خصائص الفكر النهضوي العربي

المبحث الثاني: السياق التاريخي للنهضة العربية

المطلب الأول: أوضاع المشرق العربي في القرن 19 م

المطلب الثاني: أثر الإصلاحات العثمانية

المطلب الثالث: أثر الاحتكاكات بالغرب والاستعمار الأوروبي

المبحث الثالث: رواد النهضة العربية

المطلب الأول: التيار الإصلاح الديني

المطلب الثالث: التيار القومي العربي

المطلب الثالث: التيار الليبرالي الثقافي

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

شهد العالم العربي، ولا سيما خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، تحولات عميقة مست مختلف مجالات الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية. وقد ارتبطت هذه التحولات بجملة من الظروف الداخلية والخارجية، تمثلت في تراجع أوضاع الدولة العثمانية، والحاجة إلى إصلاح المؤسسات والمجتمع، وتطور التعليم والطباعة والصحافة، فضلاً عن تنامي الاحتكاك بالحضارة الأوروبية وما حمله من أفكار ومعارف ومؤسسات جديدة.

وفي ظل هذه التحولات برزت حركة فكرية وثقافية عُرفت باسم النهضة العربية، وهي حركة لم تقتصر على المجال الأدبي، وإنما امتدت إلى قضايا الدين والتعليم واللغة والسياسة والمجتمع، وسعت إلى معالجة مظاهر الجمود والتراجع، وإعادة بناء الوعي العربي على أساس يجمع بين الاستفادة من منجزات العصر والمحافظة على مقومات الهوية والثقافة العربية الإسلامية.

ولفهم هذه الظاهرة في أبعادها المختلفة، يتناول هذا الفصل الإطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية، من خلال تحديد مفهومها وأبرز عوامل ظهورها وخصائص الفكر النهضوي، ثم بيان السياق التاريخي الذي نشأت فيه، مع التركيز على أوضاع المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر، وأثر الإصلاحات العثمانية والاحتكاك بالغرب والاستعمار الأوروبي. كما يتطرق إلى أبرز الاتجاهات الفكرية التي أسهمت في تشكيل الفكر النهضوي العربي، ممثلة في التيار الإصلاح الديني، والتيار القومي العربي، والتيار الليبرالي الثقافي.

المبحث الأول: مفهوم النهضة العربية

المطلب الأول: تعريف النهضة العربية لغةً واصطلاحاً

أولاً: النهضة لغةً

النهضة لغةً مشتقة من فعل «نهض»، والذي يعني البراح من الموضع والقيام منه، ونقول: نَهَضَ يَنْهَضُ، نَهَضًا، انْتَهَضَ، أي قام¹.

والنهضة هي الطاقة والقوة، والنهضة بالشيء القدرة على النهوض، وتناهض القوم، أي أسرع كل فريق إلى مقاومة خصمه، يقال: تناهض القوم في الحرب².

والنهضة جمع «نُهاض»، وهي المرة من نهض، والطاقة والقوة، والعتبة من الأرض ينقطع فيها نفس الدابة والإنسان يصعد فيها من غمض، وجمعها «نُهاض»، و«ناهضات» تعني الوثب والتقدم بعد التأخر، من انحطاط نحو عصر النهضة³.

وبالتالي، فالنهضة لا تعني مجرد التغيير، وإنما تشير إلى حركة واعية من حالة من الضعف أو الركود إلى حالة من التقدم والرقى، وهو ما يفسر استعمال مفهوم النهضة في وصف التحولات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي عرفتھا المجتمعات.

ثانياً: النهضة العربية اصطلاحاً

- تعني الانبعاث والتجديد النهضة العربية في القرن التاسع عشر ميلادي
- عصر النهضة الأوروبية: هو عصر التجديد الأدبي والفني والعلمي والديني ابتداءً في إيطاليا⁴ وعم أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي ؛ فتوجيه الأشياء الإنسانية يعني أولاً تعريفها، وفي التاريخ منعطفات هائلة وخطيرة يتحتم

¹ ابن منظور، لسان العرب، عبد الله العليلى، دار لسان العرب، بيروت، مج 3 ص 730.

² براهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2 ، دار المعارف 1973 م، ج 1، ص 95.

³ لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط 2 ، دار النشر المطبعة الكاثوليكية 1960 م، ص 842.

⁴ نور الدين مسعودان، أعلام الجزائر، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ، ص 24.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

فيها هذا التعريف، والنهضة في العالم الإسلامي إحدى تلك المنعطفات، وحين نتحدث عن النهضة يلزمنا أن نتصورها من ناحيتين

- تلك التي تتصل بالماضي، أي بخلاصة التدهور، وتشعبها في الأنفس والأشياء
- تلك التي تتصل بخسائر المصير وجذور المستقبل¹

والنهضة هي حركة إحياء التراث القديم، أما بمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور القديم في كل من الفنون والآداب والعلوم وطرق التعبير والدراسات، وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية².

مفهوم النهضة يرتبط في دلالاته الخاصة، باستحضار التراث الذي تركه الأسلاف وإعادة إحيائه، غير أن المقصود بذلك لا يقتصر على مجرد المحافظة على الموروث أو استعادته كما كان، بل يتجه إلى توظيفه في عملية تقوم على التجديد والإضافة والتطوير. أما في دلالتها الأوسع، فإن النهضة تعبر عن حالة من التحول والتغير تشمل مختلف مجالات الحياة، من خلال الاستفادة من الرصيد التراثي السابق وإعادة توظيفه بما يؤدي إلى إحداث تغيرات في الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات.

كما نجد أن النهضة «مصطلح إفرنجي سَكَّهُ «ميشيليه»، ولكنه لم يصبح مصطلحًا تاريخيًا إلا بفضل «بوركهارت»، ويُطلق على القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهو يدور على إعلاء الفردية، وإحياء التراث اليوناني، واكتشاف العالم والإنسان على نحو مغاير لما حدث في العصر الوسيط، فنشأ المذهب الإنساني، وظهرت فكرة الدين الطبيعي والأخلاق³ الطبيعية، وانفصلت الفلسفة عن الدين، وخرج العلم الآلي من ازدهار الصناعات.

¹ معجم مجاني الطلاب، منشورات دار المجاني، ط 4 ، بيروت، 1998 ، ص 1009.

² مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ط 1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2009 م، ص 313.

³ مراد وهبه، المعجم الفلسفي، د ط، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007 م، ص 657.

المطلب الثاني: عوامل ظهور النهضة العربية

لم تظهر النهضة العربية نتيجة عامل واحد، وإنما كانت حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل السياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية، اختلفت درجة تأثيرها من منطقة عربية إلى أخرى. ويمكن إبراز أهم هذه العوامل فيما يأتي:

أولاً : الإصلاح الديني والفكري

شكل الإصلاح الديني أحد أهم المداخل الفكرية للنهضة العربية، إذ رأى عدد من المفكرين أن معالجة أوضاع المجتمع تقتضي إصلاح الفكر الديني والتعليم الديني، وإعادة النظر في بعض أشكال الجمود والتقليد.

دعا محمد ابن عبد الوهاب¹-ينظر الملحق 01- إلى "الرجوع إلى صفاء الإسلام، والأخذ به على أوله وأصله والبعد عن البدع والشرك التي تشل الإنسان وتجعله خاضعا لبشر مثله... إن دعوة الشيخ تعتبر نقطة مضيئة في تاريخ العالم الإسلامي خلال فترة الركود والجمود"² لقد شهد الفكر العربي والإسلامي العديد من النخب التي عرفت بدعاة الإصلاح والتجديد والتي عملت على تحرير العقول وإيقاظ الأمة العربية من سباتها الذي عاشته طيلة الفترة الماضية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه نجد رائد اليقظة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغاني-ينظر الملحق 02- أحد أعلام الفكر الإسلامي الذي كان "يثبت في الحقل الاجتماعي

¹ ابن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (1703 م - 1792 م)، دعا إلى تطهير العقيدة مما علق بها من البدع والخرافات بالرجوع إلى التوحيد الخالص الذي كان عليه السلف الصالح. وكان لدعوته أثر في بعث حركة الإصلاح الديني في سائر البلاد الإسلامية. جل كتبه تركز على التوحيد، لعل أبرزها: "كتاب التوحيد" و"أصول الإيمان". ينظر: محمود يعقوبي، معجم الفلاسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، ط 1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008 م، ص 218.

² محمد عبده، دروب النهضة (أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة)، ط 1، دار الأعلام، الأردن، عمان، 1424 هـ 2003 م، ص 08.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

والسياسي، أن من مذهب الإسلام جوهرًا، ديمقراطيًا عنصرًا، فيمنح الأمة حق الاشتراك في إدارة الدولة¹ ورقابة حكومتها.

لقد دعا الأفغاني للحرية وهذا بهدف تخليص الذات الإنسانية من شوائب الماضي "فالواقع أن الحرية التي كان يقصدها عادة، حين يستخدم من الكلمة، لم تكن لحرية الشخصية، بل الحرية القومية أي الاستقلال الوطني"²، وهذا بهدف تحرير الأمة من الاستبداد والانقسام الذي خلقه الاستعمار في سعيه لوحدة الأمة

وقد دعا الإصلاحيون إلى إعمال العقل والاجتهاد، وإعادة قراءة النصوص والتراث في ضوء حاجات المجتمع ومتغيرات العصر. ومن أبرز من ارتبط بهذا الاتجاه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي.

ولم يكن الإصلاح الديني عند هؤلاء مجرد إصلاح للمؤسسات الدينية، بل ارتبط بإصلاح الإنسان والمجتمع والتعليم والحياة السياسية، ولذلك شكل أحد الروافد الأساسية للفكر النهضوي العربي.

ثانياً: تطور التعليم وظهور المؤسسات التعليمية الحديثة

مفهوم التعليم:

التعليم بالمفهوم العام هو عملية كبرى شاملة تشترك فيها عدة جهات، كالهيئات الوصية والمناهج وطرائق التعليم وأدوار المعلم واستعدادات المتعلم. فالتعليم على هذا الأساس يشمل التعلم الذي يختص بالمتعلمين، كما يشمل التدريس الذي يختص بالمعلمين³، ويشمل كذلك من الأنشطة التي يمكن أن تقوم بها هيئات أخرى غير المؤسسة التعليمية.

¹ محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقة والثورة التحريرية الكبرى، تح: صلاح الدين البتاني، ط 3، دار العرب، القاهرة، 1993 م ص 25.

² صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003 م، ص 35.

³ فاتح عبد العليم، آليات تفعيل استراتيجيات التعليم في ضوء المقاربة بالكفاءات، مجلة تعليمية المجلد 03، العدد 07، 2015، ص 131.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

هو نشاط يقوم به المعلم والتلاميذ، ويتمثل في شرح الدرس ومراجعته للتلميذ قصد تعديل وبعث مكتسبات علمية جديدة وترسيخها في عقولهم، مع طرح أسئلة فورية لتقييم التحصيل وإعادة بعض حلقات الشرح عندما يقتضي الحال ذلك، ولكن إذا ظهر في إجابات المتعلم ما يدل على ضعف التحصيل والفهم في نهاية الدرس المقدم¹.

ونعرف التعليم على أنه إعطاء المعلومات واكتساب المهارات والمعارف، وكذلك عناية وتطوير دوره اليومي والفعال في هذه العملية باعتبارهم محور العملية التعليمية والتربوية، واكتساب الخبرة والمعارف والمهارات والتهيئات والقيم التي يتجه إليها هذا التعلم ومعانيه، بشرط أن يكون هناك استعداد لتلقي المعلومات على المستوى العقلي والنفسي، حتى يتمكن من اكتساب الخبرات والمعارف.

ثالثاً: انتشار الطباعة والصحافة

يُعد انتشار الطباعة والصحافة من العوامل المهمة التي أسهمت في تهيئة الظروف الثقافية والفكرية للنهضة العربية، إذ ساعدت الطباعة على توسيع نطاق نشر الكتب والمؤلفات، بينما أتاحت الصحافة مجالاً أوسع لتداول الأفكار ومناقشة القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية. ومن ثم أصبحت المعرفة أكثر قدرة على الانتشار والوصول إلى شرائح أوسع من المجتمع العربي، بعد أن كان تداولها يعتمد بدرجة كبيرة على المخطوط والنسخ اليدوي².

وقد ارتبط ظهور الطباعة الحديثة في البلاد العربية بجملة من التحولات التي عرفتھا المنطقة خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكان للاحتكاك بالغرب أثر في التعريف بالتقنيات الحديثة للطباعة. ففي مصر، ارتبطت إحدى التجارب المبكرة بالطباعة

¹ نياطي هجيرة، استراتيجيات التعليم والتعلم في ضوء التكنولوجيا الحديثة، مجلة التحرير، المجلد 04، العدد 01، 2022، ص 127.

² براهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 1945، ص 30.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

التي أدخلتها الحملة الفرنسية خلال وجودها في مصر بين سنتي 1798 و1801، حيث استخدمت المطابع في إصدار المنشورات والصحف باللغة العربية وغيرها¹

وبعد خروج الحملة الفرنسية، شهدت مصر مرحلة أكثر أهمية في تاريخ الطباعة مع مشروع محمد علي باشا، الذي اهتم بإنشاء المؤسسات الحديثة وتطوير التعليم والإدارة والجيش. وفي هذا الإطار أنشئت مطبعة بولاق، التي أصبحت من أبرز مراكز الطباعة والنشر في مصر خلال القرن التاسع عشر، وأسهم نشاطها في نشر الكتب والمؤلفات والمترجمات وإحياء عدد من الكتب العربية القديمة²

ولم يقتصر أثر مطبعة بولاق على الجانب التقني، وإنما ارتبط أيضًا بالحركة العلمية والثقافية التي شهدتها مصر؛ فقد ساعد انتشار الكتب المطبوعة على توسيع دائرة القراء، كما ساهم في دعم التعليم والترجمة ونشر المعارف المختلفة، الأمر الذي جعل الطباعة وسيلة أساسية في انتقال الأفكار والمعارف الجديدة³

وبالتوازي مع تطور الطباعة، بدأت الصحافة العربية الحديثة في الظهور والتوسع، وكان من أبرز مظاهر ذلك صدور «الوقائع المصرية» سنة 1828 في عهد محمد علي، حيث مثلت إحدى البدايات المهمة للصحافة العربية الحديثة، قبل أن تتطور الصحافة لاحقًا وتتعدد الصحف والمجلات التي تناولت مختلف القضايا العامة⁴

ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اتسع نطاق الصحافة العربية، ولم تعد وظيفتها مقتصرة على نقل الأخبار أو نشر القرارات الرسمية، بل أصبحت منبرًا لمناقشة القضايا الفكرية

¹ إبراهيم عبده، تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية 1797-1801، القاهرة، مطبعة التوكل،

1941، ص 15-18

² إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية، مرجع سابق، ص. 30-33.

³ المرجع نفسه، ص 34-38.

⁴ إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية 1828-1942، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط3، 1983، ص 5-7.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

والاجتماعية والإصلاحية. كما أتاحت للكتاب والمفكرين وسيلة لنشر أفكارهم والوصول إلى جمهور أوسع، وهو ما جعلها عنصرًا فاعلاً في الحياة الثقافية والفكرية العربية¹

رابعاً: الاحتكاك بالغرب

يُعد الاحتكاك بالغرب من العوامل المهمة التي ارتبطت بنشأة النهضة العربية الحديثة، فقد أدى الاتصال المتزايد بين المجتمعات العربية والمجتمعات الأوروبية إلى التعرف على مظاهر جديدة في مجالات العلم والتعليم والإدارة والصناعة والفكر، الأمر الذي دفع عددًا من المثقفين والحكام والمصلحين العرب إلى التفكير في سبل الاستفادة من هذه التطورات. ولم يكن هذا الاحتكاك في صورة واحدة، بل تم من خلال الحملات العسكرية، والعلاقات السياسية والتجارية، والإرساليات التعليمية، والبعثات العلمية، والترجمة، والاطلاع المباشر على المؤلفات والعلوم الأوروبية²

وقد شكلت الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م إحدى أبرز صور الاتصال المباشر بين المشرق العربي والغرب في العصر الحديث. فقد رافق الحملة عدد من العلماء والباحثين والفنيين، كما اصطحبت معها مطابع ومؤسسات علمية، وهو ما جعل الحملة تحمل، إلى جانب أهدافها العسكرية والسياسية، مظاهر من الحضارة الأوروبية الحديثة إلى البيئة المصرية. وقد أدى هذا الاتصال إلى لفت الانتباه إلى ما حققته أوروبا من تقدم في بعض المجالات العلمية والتنظيمية، وإن كان تقييم آثار الحملة الفرنسية يختلف بين المؤرخين بحسب طبيعة الزاوية التي ينظرون منها إلى الحدث³

وقد كان من نتائج هذا الاحتكاك أن أصبحت الفجوة العلمية والتقنية بين أوروبا وبعض البلاد العربية أكثر وضوحًا أمام النخب التي عاشت تلك المرحلة، وهو ما دفع لاحقًا إلى البحث عن وسائل لاكتساب العلوم والمعارف الحديثة. وتذكر بعض الدراسات أن الحملة

¹ إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 75-82.

² محمد الأخضر عبد القادر، عوامل النهضة العربية الحديثة، مطبوعة بيداغوجية، جامعة سطيف 2، ص 3.

³ نيكولا الترك، الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق ياسين سويد، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1990، ص 33

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

الفرنسية أسهمت في إيقاظ الاهتمام بالتطورات العلمية والاجتماعية، كما ارتبط وجودها بإدخال المطابع وإنشاء بعض المؤسسات ذات الطابع العلمي في مصر¹.

غير أن الاحتكاك بالغرب لم يتوقف بانتهاء الحملة الفرنسية، بل اتخذ في عهد محمد علي باشا صورة أكثر تنظيماً، إذ اتجه إلى الاستفادة من الخبرات الأوروبية في بناء مؤسسات الدولة وتطوير الجيش والتعليم والإدارة، وقد استعان بخبراء أوروبيين في عدد من المجالات، كما عمل على إرسال الطلاب المصريين إلى أوروبا لتلقي العلوم والمعارف الحديثة، وهو ما جعل الاتصال بالغرب ينتقل من الاتصال العرضي إلى اتصال منظم يخدم أهدافاً تعليمية وعلمية وإدارية²

وكانت البعثات العلمية من أهم الوسائل التي اعتمد عليها محمد علي لتحقيق هذا الاتصال؛ فقد كان الهدف منها نقل العلوم والخبرات الأوروبية إلى مصر، وتكوين جيل من المتعلمين القادرين على الاستفادة من هذه المعارف وتوظيفها داخل مؤسسات الدولة. وتشير المصادر إلى أن البعثات لم تكن موجهة إلى مجال واحد، وإنما شملت علومًا وفنونًا متعددة، من بينها الفنون العسكرية والهندسة والطباعة والعلوم البحرية وغيرها³

وقد بدأت البعثات بالتوجه إلى عدد من البلدان الأوروبية، ومن بينها إيطاليا وفرنسا وإنجلترا، وتطورت هذه البعثات من حيث العدد والتخصصات. فقد أرسلت بعثات إلى إيطاليا لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة، كما أرسلت بعثات أخرى إلى فرنسا لدراسة الفنون الحربية والبحرية وغيرها من العلوم، ثم توسعت حركة الإيفاد في السنوات اللاحقة لتشمل أعدادًا أكبر من الطلبة وتخصصات أكثر تنوعًا⁴

¹ عمرو عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 224.

² عبد الرحمن الراجحي، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ص 408.

³ عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين الكبرى، الإسكندرية، 1934، ص 10.

⁴ عمر طوسون، المرجع نفسه، ص 10-11.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

ولم تكن الغاية من البعثات مجرد تحصيل المعرفة في الخارج، وإنما كان المقصود أيضًا نقل ما تم تعلمه إلى المجتمع العربي. ولذلك أُسند إلى عدد من المبعوثين القيام بترجمة الكتب الأوروبية، حتى أصبحت البعثات إحدى الوسائل التي ساهمت في تنشيط حركة الترجمة ونقل العلوم والمعارف الغربية إلى اللغة العربية. وقد ارتبط هذا النشاط لاحقًا بإنشاء المؤسسات المتخصصة في الترجمة والتعليم، وفي مقدمتها مدرسة الألسن التي ارتبطت باسم رفاعة الطهطاوي¹

وقد كان لرفاعة الطهطاوي دور بارز في هذا السياق، إذ أتاحت له إقامته في فرنسا فرصة الاطلاع المباشر على جوانب من الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية الأوروبية، ثم عاد إلى مصر حاملاً معه خبرة ومعارف وظفها في مجال التعليم والترجمة والتأليف. وبذلك أصبح الاتصال بالغرب بالنسبة إلى عدد من رواد النهضة وسيلة للتعرف على تجارب جديدة، ثم محاولة نقل بعضها إلى البيئة العربية بما يتناسب مع ظروفها واحتياجاتها²

كما ساهمت حركة الترجمة في توسيع دائرة الاتصال بالفكر الغربي، فلم يعد التعرف على العلوم والأفكار الأوروبية مقتصرًا على الأشخاص الذين سافروا إلى أوروبا، بل أصبح من الممكن أن تصل هذه المعارف إلى القراء والمثقفين من خلال الكتب المترجمة. وقد شملت الترجمة مجالات متعددة، منها العلوم والفنون والتاريخ والجغرافيا والعلوم العسكرية والإدارة وغيرها، وهو ما ساعد على اتساع دائرة المعرفة الحديثة باللغة العربية³

وقد انعكس هذا الاتصال على الحياة الفكرية والأدبية العربية، حيث بدأ المثقفون العرب يتعرفون على أنماط جديدة في التفكير والتعبير والأدب، كما اطلعوا على اتجاهات فكرية وفلسفية وأدبية لم تكن معروفة بالقدر نفسه في البيئة العربية من قبل. وتشير الدراسات المتعلقة

¹ جمال الدين الشيال، *تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي باشا*، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 33.

² سعيد بن مخاشن، «عوائد البعثات العلمية في العصر الحديث: مصر نموذجًا»، مقال منشور بتاريخ 6 يناير 2021

³ عبد المالك هيزب الشافعي درويش، *النهضة العلمية في مصر على عهد محمد علي باشا (1805-1848م)*، مذكرة

مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2016-2017، ص 47-48.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

بالنهضة الأدبية إلى أن الأدب العربي الحديث تأثر بالآداب الغربية عن طريق الاحتكاك المباشر، والبعثات العلمية، والترجمة، والقراءة والاطلاع.

ولم يكن التأثير الغربي مقتصرًا على الأدب والفكر، وإنما شمل كذلك التعليم وطرق التدريس وتنظيم المؤسسات، فقد ساعد الاحتكاك بالأنظمة التعليمية الأوروبية على التعرف على نماذج جديدة في تنظيم التعليم وإعداد المتخصصين. كما أن عودة أفراد البعثات إلى بلادهم وتوليهم مناصب في الإدارة والتعليم والجيش وغيرها ساعدت على إدخال بعض المعارف والخبرات التي اكتسبوها في أوروبا إلى مؤسسات الدولة¹.

ومن جهة أخرى، ساعد الاحتكاك بالغرب على ظهور وعي جديد بأهمية العلوم الحديثة وضرورة تطوير وسائل التعليم والإدارة والإنتاج. فقد أدركت فئات من النخب العربية أن التقدم الأوروبي لم يكن قائمًا على عامل واحد، وإنما ارتبط بتطور العلوم والمؤسسات التعليمية والتنظيم الإداري والصناعي. ولذلك أصبح الاقتباس من التجارب الأوروبية ومناقشة إمكانية الاستفادة منها جزءًا من النقاش الفكري الذي رافق حركة النهضة العربية².

غير أن أثر الاحتكاك بالغرب لم يكن واحدًا لدى جميع رواد النهضة، فقد اختلفت مواقفهم من الحضارة الأوروبية بين من دعا إلى الاستفادة الواسعة من منجزاتها، ومن أكد ضرورة الانتقاء والمحافظة على الخصوصية الثقافية والدينية للمجتمع العربي. ولذلك لا يمكن فهم الاحتكاك بالغرب باعتباره مجرد عملية تقليد، بل كان في جانب منه عملية تفاعل فكري وثقافي أدت إلى طرح أسئلة جديدة حول العلاقة بين الأصالة والتحديث، والتراث والمعاصرة، والاستفادة من التجارب الأجنبية مع الحفاظ على الخصوصية الحضارية³.

¹ عبد المالك هيزب الشافعي درويش، النهضة العلمية في مصر على عهد محمد علي باشا (1805-1848م)، منكرد ماستر، جامعة غرداية، 2016-2017، ص 60-61.

² المرجع نفسه، ص 61.

³ محمد الأخضر عبد القادر، عوامل النهضة العربية الحديثة، مطبوعة بيداغوجية، جامعة سطيف 2، الجزائر، ص 3-4.

المطلب الثالث: خصائص الفكر النهضوي العربي

تميّز الفكر النهضوي العربي خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بمجموعة من الخصائص التي ارتبطت بالظروف التاريخية والفكرية التي نشأ في ظلها، وبمحاولة المفكرين العرب معالجة مظاهر الضعف والتأخر التي عرفتتها المجتمعات العربية، والبحث عن سبل تحقيق الإصلاح والتقدم.

ولم يكن هذا الفكر ذا اتجاه واحد أو تصور موحد، بل تعددت مداخله وتنوعت قضاياها، مع وجود مجموعة من القضايا المشتركة التي شكلت جوهر المشروع النهضوي العربي، وفي مقدمتها الإصلاح، والتجديد، والتعليم، واللغة، والاهتمام بالعلوم الحديثة، والبحث عن صيغ للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة¹.

أولاً: النزعة الإصلاحية

تُعد النزعة الإصلاحية من أبرز السمات التي طبعت الفكر النهضوي العربي، إذ انصرف جانب كبير من اهتمام رواده إلى تشخيص أسباب التراجع الذي أصاب المجتمعات العربية والإسلامية، ومحاولة اقتراح الوسائل الكفيلة بتجاوز مظاهر الضعف والجمود.

وقد شمل الإصلاح مجالات متعددة، من بينها إصلاح الفكر الديني، والتعليم، واللغة، والمجتمع، والإدارة، ولم يكن مقتصرًا على الجانب النظري، بل ارتبط في كثير من التجارب بممارسات ومشروعات عملية هدفت إلى إحداث تغيير في الواقع².

ومن ثم ارتبط مفهوم النهضة لدى عدد من المفكرين بفكرة الإصلاح الشامل، باعتبار أن معالجة أسباب التأخر تتطلب إصلاحًا متكاملًا يمس مختلف جوانب الحياة.

¹ محمد عزيزو، «صراع القيم في الفكر النهضوي العربي الحديث»، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، المجلد 26، العدد 1، 2022، ص 261-262.

² منير صغييري، الفكر الإصلاحي-التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على الحركة الإصلاحية في الجزائر (1903-1931)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الوادي، الجزائر، 2016.

ثانيًا: الجمع بين الأصالة والتجديد

اتسم الفكر النهضوي كذلك بمحاولة إقامة نوع من التوازن بين المحافظة على المرجعيات الثقافية والحضارية للمجتمع العربي وبين الاستفادة من منجزات العصر الحديث.

ولذلك لم يكن التجديد، في كثير من المشاريع النهضوية، مرادفًا للقطيعة مع التراث، وإنما ارتبط بإعادة النظر فيه وفهمه بصورة تسمح باستخراج عناصر يمكن توظيفها في مواجهة مشكلات الحاضر.

وقد برزت ثنائية الأصالة والمعاصرة بوضوح في النقاشات الفكرية اللاحقة حول النهضة، حيث ارتبطت الأصالة بالبحث عن الجذور والمصادر المؤسسية للهوية، في حين ارتبط التجديد بإعادة قراءة الموروث والتفاعل مع حاجات العصر¹.

ويظهر هذا التوجه بصورة واضحة لدى عدد من رواد الفكر النهضوي الذين سعوا إلى تجاوز الجمود دون التخلي عن المرجعية العربية والإسلامية؛ فكان الهدف هو تحقيق التفاعل بين التراث ومتطلبات العصر، وليس مجرد استنساخ النماذج الأجنبية أو العودة الحرفية إلى الماضي.

ثالثًا: الاهتمام باللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة أساسية في المشروع النهضوي، باعتبارها وعاءً للثقافة وأداة لحفظ الهوية ونقل المعرفة. ولذلك اهتم عدد من رواد النهضة بإصلاح أوضاع اللغة العربية، والعمل على تطوير أساليب استعمالها، وإثرائها بالمصطلحات اللازمة للتعبير عن المفاهيم العلمية والفنية والإدارية الحديثة. وقد ارتبط هذا الاهتمام بالحاجة إلى جعل اللغة العربية قادرة على

¹ عبد الله حميد، «الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي المعاصر»، في دراسة جامعية منشورة ضمن ملف الفكر الفلسفي والأدب الفلسفي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2024-2025، ص. 5-7

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

استيعاب المعارف الجديدة ونقلها إلى المجتمع، خصوصًا مع اتساع الاتصال بالحضارة الأوروبية وتزايد الحاجة إلى ترجمة العلوم والمصطلحات الحديثة¹

وقد شملت جهود النهضويين في هذا المجال العناية بالمعاجم، وتوليد الألفاظ، والتعريب، والاهتمام بالنحو وأساليب الكتابة، وإنشاء المجامع اللغوية، فضلًا عن إصدار الصحف والمجلات والمؤلفات باللغة العربية. ويشير الطاهر ميلة إلى أن رواد النهضة عملوا على تهيئة اللغة العربية لاستيعاب المفاهيم العلمية والتقنية الحديثة، وأن هذه الجهود كانت جزءًا من حركة إصلاحية أوسع ظهرت خلال القرن التاسع عشر²

رابعًا: مركزية التعليم

احتل التعليم موقعًا محوريًا في الفكر النهضوي، إذ اعتبره عدد من المصلحين وسيلة أساسية لمواجهة الجهل والجمود وبناء الإنسان القادر على المشاركة في إصلاح المجتمع. ولذلك ارتبطت مشاريع النهضة بالدعوة إلى إصلاح المؤسسات التعليمية، وتطوير المناهج، وتوسيع نطاق التعليم، والاستفادة من العلوم الحديثة. ولم يكن التعليم في هذا التصور مجرد وسيلة لاكتساب المعرفة، وإنما اعتُبر أداة لتكوين الفرد وإعداده للمساهمة في بناء المجتمع وتطويره. وقد برز هذا التصور بصورة واضحة في مشاريع عدد من المصلحين، حيث ارتبط الإصلاح التعليمي بالإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي. وفي السياق الجزائري، مثلاً، اعتبر الشيخ العربي التبسي التعليم أساسًا أوليًا لقيام النهضة، وربط بين نشر التعليم وبين بناء الوعي والمحافظة على وحدة المجتمع وتماسكه³

¹ الطاهر ميلة، «جهود رواد النهضة العربية في تهيئة اللغة العربية لنقل المعارف الحديثة»، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 18، العدد 2، الجزائر، 2022، ص. 10-12

² نفسه، ص 15-19.

³ محمد بن قيدة، «مقومات النهضة وشواهداها من الأحاديث النبوية عند الشيخ العربي التبسي: من خلال مقالاته»، مداخلة في الملتقى الوطني: الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين: الجهود والمناهج والاتجاهات، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 6-7 فيفري 2024.

ويكشف ذلك عن المكانة التي احتلها التعليم في المشاريع النهضة باعتبارها مدخلاً أساسياً لتغيير الواقع.

خامساً: الانفتاح على العلوم والمعارف الحديثة

تميّز الفكر النهضوي أيضاً بانفتاحه على العلوم والمعارف الحديثة، ولا سيما تلك التي تطورت في أوروبا خلال العصر الحديث. فقد سعى رواد النهضة إلى التعرف على هذه العلوم من خلال البعثات العلمية والرحلات والترجمة والتعليم، ثم نقلها إلى البيئة العربية وتوظيفها في المجالات التي تخدم المجتمع. ولم يكن هذا الانفتاح مقتصرًا على العلوم الطبيعية والتقنية، بل شمل كذلك مجالات الإدارة والقانون والفكر والأدب وغيرها.

وقد ارتبطت هذه العملية بجهود كبيرة لتطوير اللغة العربية حتى تصبح قادرة على استيعاب المفاهيم العلمية الجديدة؛ فالاهتمام بتوليد المصطلحات والمعاجم والمجامع اللغوية كان، في جانب منه، استجابة للحاجة إلى نقل المعارف الحديثة إلى العربية¹

ومن ثم يمكن اعتبار الانفتاح على العلوم الحديثة أحد المظاهر التي عكست رغبة الفكر النهضوي في تجاوز حالة الجمود والانخراط في حركة التطور العلمي والمعرفي.

سادساً: الاهتمام بالحرية والإصلاح الاجتماعي والسياسي

شهد الفكر العربي النهضوي توسعاً تدريجياً في مناقشة قضايا الحرية والعدالة والمساواة والشورى والقانون وتنظيم السلطة، خاصة مع اتساع الاتصال بالأفكار السياسية الحديثة. وقد أصبحت هذه القضايا جزءاً من النقاش حول أسباب التأخر وسبل الإصلاح، وإن اختلفت مواقف المفكرين منها بحسب خلفياتهم الفكرية والدينية والسياسية. فقد سعى بعض الإصلاحيين

¹ الطاهر ميلة، «جهود رواد النهضة العربية في تهيئة اللغة العربية لنقل المعارف الحديثة»، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 18، العدد 2، 2022، ص. 15-19.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

إلى إعادة تفسير المفاهيم السياسية ضمن المرجعية الإسلامية، بينما اتجه آخرون إلى الاستفادة من المفاهيم الدستورية والليبرالية الحديثة بدرجات متفاوتة¹

ولذلك لم يكن مفهوم الحرية لدى رواد النهضة متطابقاً في مضمونه أو في الوسائل المقترحة لتحقيقه، وإنما ظهر ضمن سياقات مختلفة ارتبطت بمواجهة الاستبداد، وإصلاح الحكم، وتطوير المجتمع، وتحقيق قدر أكبر من العدالة والمشاركة. وقد أظهرت الدراسات المتعلقة بالفكر النهضوي أن قضية الحرية كانت من القضايا التي احتلت موقعاً مهماً في النقاش الفكري العربي الحديث

سابعاً: تعدد الاتجاهات الفكرية

لم يكن الفكر النهضوي العربي تياراً فكرياً واحداً متجانساً، وإنما تشكل من اتجاهات متعددة اختلفت في منطلقاتها وفي تفسيرها لأسباب التأخر وفي الوسائل التي اقترحتها لتحقيق النهضة. ومن أبرز هذه الاتجاهات الإصلاح الديني، والتيار الليبرالي، والتيار العلمي العلماني، مع وجود تداخل وتفاعل بين هذه الاتجاهات في عدد من القضايا والمراحل التاريخية²

فقد ركز الاتجاه الإصلاحي الديني على تجديد الفكر الديني وتنقية الممارسة الدينية من مظاهر الجمود والتقليد، في حين اهتم الاتجاه الليبرالي بقضايا الحرية والدستور والإصلاح السياسي والاجتماعي، بينما ركز الاتجاه العلمي العلماني على العلم والعقلانية والاستفادة من منجزات الحضارة الحديثة. وعلى الرغم من اختلاف هذه الاتجاهات، فإنها اشتركت بدرجات متفاوتة في الاهتمام بمشكلة التأخر والبحث عن سبل للنهوض بالمجتمع العربي.

وعليه، فإن خصائص الفكر النهضوي العربي تكشف عن طبيعة مشروع فكري اتسم بالإصلاح والانفتاح والتجديد، مع استمرار الارتباط بالتراث والهوية. كما أن تعدد اتجاهاته

¹ سفيان فوكة، «مواجهة السلطوية في الفكر العربي الحديث؛ بواكير النهضة أنموذجاً»، مجلة المعيار، جامعة بومرداس، المجلد 25، العدد 8، 2021، ص. 294-306

² حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ/2000م، ص. 48-51

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

يعكس عدم وجود تصور واحد للنهضة، وإنما وجود مشروعات فكرية متعددة حاول كل منها، من زاويته الخاصة، الإجابة عن سؤال النهضة وأسباب التأخر ووسائل تجاوزه. ولذلك فإن دراسة الفكر النهضوي تقتضي النظر إليه باعتباره مجالاً للتفاعل بين الأصالة والتجديد، وبين المرجعية العربية الإسلامية ومتطلبات العصر الحديث، وبين الإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي.

المبحث الثاني: السياق التاريخي للنهضة العربية

المطلب الأول: أوضاع المشرق العربي في القرن التاسع عشر ميلادي

ارتبطت النهضة العربية ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية التي عرفها المشرق العربي -ينظر الملحق رقم 04- خلال القرن التاسع عشر. فقد كانت معظم مناطق المشرق العربي خاضعة للسيادة العثمانية، في وقت بدأت فيه الدولة العثمانية تواجه تحديات داخلية وخارجية متزايدة، تمثلت في ضعف قدرتها العسكرية والمالية، وتزايد التدخلات والضغط الأوروبي، الأمر الذي دفعها إلى البحث عن وسائل لإعادة تنظيم مؤسساتها وتقوية جهازها الإداري والعسكري¹.

وقد انعكست هذه الأوضاع على الولايات العربية بدرجات متفاوتة، حيث شهدت بعض المدن تحولات إدارية واقتصادية واجتماعية، كما ازدادت أهمية المراكز الحضرية والتجارية، وبرزت فئات جديدة من الموظفين والمتعلمين الذين أصبحوا أكثر اتصالاً بالمؤسسات الحديثة وبالمعارف القادمة من أوروبا وأسهمت هذه التحولات في توفير بيئة اجتماعية وفكرية ساعدت على بروز خطاب إصلاحى جديد².

وفي المقابل، شهدت مدن عربية، ولا سيما القاهرة وبيروت ودمشق، تطوراً نسبياً في النشاط الثقافي والتعليمي فقد انتشرت المدارس والمطابع، وظهرت الصحف والمجلات، ونشطت حركة التأليف والترجمة، الأمر الذي أدى إلى اتساع دائرة تداول المعرفة وظهور جمهور جديد من القراء والمتعلمين³.

كما برزت خلال هذه المرحلة فئة من المثقفين الذين جمعوا بين التكوين التقليدي والاطلاع على المعارف الحديثة وقد اضطلعت هذه النخب بدور مهم في نقل الأفكار الجديدة وإعادة

¹ عبد الرحمن الراجحي، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ط. 5، 1989م، ص 15-25.

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939، تر: كريم عزقول، دار نوفل، بيروت، ط 1، 1986م، ص 37-45.

³ محمد مصطفى زيادة، في سبيل النهضة العربية: بحوث في التاريخ والحضارة، دار المعارف، القاهرة، ص 115-130.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

طرح قضايا التعليم والدين واللغة والمجتمع والسياسة، كما ساهمت في تشكيل خطاب إصلاحي أخذ يتجه بصورة متزايدة إلى نقد مظاهر الجمود والتأخر والدعوة إلى الإصلاح¹.

وفي مصر ارتبطت عملية التحديث بصورة خاصة بمشروع محمد علي باشا، الذي اتجه منذ توليه الحكم سنة 1805م إلى بناء مؤسسات عسكرية وإدارية وتعليمية جديدة. كما أرسل عددًا من البعثات العلمية إلى أوروبا لدراسة العلوم والفنون الحديثة، وأسهم أفراد هذه البعثات بعد عودتهم في نقل المعارف الأوروبية وترجمتها والاستفادة منها في مؤسسات الدولة والتعليم².

أما بلاد الشام، فقد شهدت بدورها تطورًا في التعليم والطباعة والنشر والصحافة، وخاصة في بيروت، التي تحولت خلال القرن التاسع عشر إلى أحد أهم المراكز الثقافية العربية. وقد ساعد انتشار المدارس والمطابع والمؤسسات الثقافية على تكوين مناخ فكري جديد، أسهم في نمو حركة التأليف والترجمة والصحافة، وفي ظهور عدد من رواد الفكر والأدب العربي الحديث³.

وهكذا تضافرت خلال القرن التاسع عشر مجموعة من الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي أسهمت في تهيئة البيئة التي نشأت فيها النهضة العربية. فقد تزامنت التحولات التي عرفتتها الدولة العثمانية مع انتشار التعليم والطباعة والصحافة والاتصال بأوروبا، مما ساعد على ظهور اتجاهات فكرية جديدة جعلت من الإصلاح والتجديد والتقدم قضايا أساسية في خطابها.

¹ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939، المرجع السابق، ص 53-67.

² عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين الكبرى، الإسكندرية، 1934م، ص 10-11.

³ جورج أنطونيوس، بقطة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 7، 1987م، ص 42-55.

المطلب الثاني: أثر الإصلاحات العثمانية

تُعد الإصلاحات العثمانية المعروفة باسم **التنظيمات** من أبرز التحولات التي أثرت في البيئة السياسية والإدارية والاجتماعية التي نشأت فيها النهضة العربية الحديثة. وقد بدأت هذه المرحلة رسميًا بإصدار **خط كلخانة الشريف سنة 1839م**، ثم تعززت بإصدار **خط همايون سنة 1856م**، واستمرت الإصلاحات خلال العقود التالية إلى إعلان الدستور العثماني الأول سنة 1876م¹.

هدفت هذه الإصلاحات إلى إعادة تنظيم مؤسسات الدولة وتقوية الإدارة المركزية، وإصلاح الجيش والنظام المالي والقضائي، وتنظيم الضرائب والتجنيد، إضافة إلى إعادة تنظيم الولايات والأجهزة الإدارية كما تضمنت مجموعة من المبادئ المتعلقة بحقوق رعايا الدولة وتنظيم العلاقة بينهم وبين السلطة².

وقد أكد خط كلخانة الشريف مجموعة من المبادئ المتعلقة بأمن الأرواح والأموال والشرف، وتنظيم الضرائب والتجنيد، بينما وسّع خط همايون سنة 1856م نطاق الإصلاحات وأكد بصورة أوضح مبدأ المساواة القانونية بين رعايا الدولة، بما في ذلك المسلمين وغير المسلمين³.

وكان لهذه الإصلاحات أثر في الولايات العربية، إذ أدت إلى إدخال أنماط جديدة من الإدارة والتنظيم، وظهور مجالس وهيئات إدارية، وتوسع الجهاز البيروقراطي للدولة كما ساهمت في تكوين فئة من الموظفين والمتعلمين الذين تعاملوا مع القوانين والمؤسسات الجديدة، وأصبحوا أكثر اتصالاً بمفاهيم الإدارة الحديثة والإصلاح القانوني⁴.

كما ارتبطت هذه المرحلة بتوسع التعليم الحديث، سواء من خلال المؤسسات الرسمية أو المدارس الخاصة والإرساليات الأجنبية، وهو ما ساهم في تكوين فئات جديدة من المتعلمين

¹ عبد العزيز محمد عوض، *الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914*، دار المعارف، القاهرة، ص 20-28.

² محمد فؤاد شكري، *مصر في عهد محمد علي*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 90-105.

³ عبد العزيز محمد عوض، *الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914*، المرجع السابق، ص 28-35.

⁴ ألبرت حوراني، *الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939*، المرجع السابق، ص 75-87.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

وقد أدى انتشار التعليم إلى توسيع قاعدة المثقفين الذين ساهموا لاحقاً في حركة الصحافة والتأليف والترجمة والنقاش الفكري¹.

ومن جهة أخرى، ساعدت التحولات الإدارية والتعليمية والثقافية على انتشار الصحافة والطباعة والجمعيات العلمية والأدبية، وأصبحت هذه المؤسسات من أهم الوسائط التي ساعدت على تداول الأفكار الجديدة. وبرزت القاهرة وبيروت بصورة خاصة باعتبارهما مركزين مهمين للحياة الثقافية العربية خلال القرن التاسع عشر².

غير أن تطبيق التنظيمات لم يكن موحدًا في جميع الولايات العثمانية، بل اختلفت درجة تنفيذها باختلاف الظروف المحلية وقدرة الإدارة المركزية على فرض الإصلاحات. كما واجهت الدولة صعوبات مالية وإدارية وسياسية، الأمر الذي حد من نتائج بعض الإصلاحات³.

وعليه، فإن التنظيمات لم تكن سبباً وحيداً في ظهور النهضة العربية، وإنما مثلت أحد عناصر السياق السياسي والمؤسساتي الذي تفاعلت معه عوامل أخرى، مثل تطور التعليم والطباعة والصحافة، والاحتكاك بأوروبا، وحركة الترجمة، ونمو الوعي الثقافي العربي.

المطلب الثالث: أثر الاحتكاك بالغرب والاستعمار الأوروبي

كان الاحتكاك بالغرب من العوامل الخارجية التي أسهمت في تشكيل الفكر النهضة العربي، إذ أتاح للمثقفين العرب التعرف على جوانب من التطور الأوروبي في العلوم والتعليم والإدارة والصناعة والقانون والطباعة. وقد تم هذا الاتصال عبر الرحلات والبعثات العلمية والتجارية والثقافية، إضافة إلى حركة الترجمة والمؤسسات التعليمية الأجنبية⁴.

وفي مصر، اتخذ الاحتكاك بأوروبا طابعاً أكثر تنظيمياً خلال عهد محمد علي باشا، حيث أرسلت بعثات علمية إلى عدد من الدول الأوروبية بهدف دراسة العلوم والفنون الحديثة. وقد

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، المرجع السابق، ص 55-65.

² محمد مصطفى زيادة، في سبيل النهضة العربية: بحوث في التاريخ والحضارة، المرجع السابق، ص 131-145.

³ عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، المرجع السابق، ص 35-45.

⁴ محمد الأخضر عبد القادر، عوامل النهضة العربية الحديثة، مطبوعة بيداغوجية، جامعة سطيف 2، الجزائر، ص 3-4.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

كان من أهداف هذه البعثات نقل الخبرات الأوروبية والاستفادة منها في تطوير مؤسسات الجيش والتعليم والصناعة والإدارة¹

وكانت رحلة رفاعة رافع الطهطاوي إلى فرنسا من أبرز مظاهر الاحتكاك الفكري المباشر بالغرب. فقد أتاح له وجوده في باريس الاطلاع على المؤسسات وأنماط الحياة والتعليم والتنظيم الإداري والسياسي، ثم نقل جانباً من مشاهداته وأفكاره إلى المجتمع العربي من خلال كتاباته ونشاطه في التعليم والترجمة²

كما أسهمت حركة الترجمة في نقل عدد من المؤلفات الأوروبية إلى اللغة العربية، ولا سيما الكتب المتعلقة بالعلوم والفنون والإدارة والقانون والتاريخ والجغرافيا. وقد أدت هذه الحركة إلى توسيع دائرة المعرفة الحديثة، وإلى تطوير المصطلحات العربية المرتبطة بالعلوم والمؤسسات الجديدة³

وفي بلاد الشام، كان للمؤسسات التعليمية والثقافية الأجنبية دور في توسيع دائرة الاتصال بالثقافة الأوروبية. وقد شهدت بيروت خلال القرن التاسع عشر نشاطاً متزايداً للمطابع والمدارس والإرساليات، وأسهم ذلك في نمو حركة الطباعة والنشر والصحافة، وفي انتشار الكتب والمعارف بين فئات أوسع من المجتمع⁴

غير أن الاتصال بالغرب تزامن كذلك مع توسع النفوذ الأوروبي في البلاد العربية، ثم انتقال هذا النفوذ في بعض الحالات إلى الاحتلال المباشر. ويُعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م والاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882م من أبرز الأمثلة على ذلك. ولذلك لم يكن موقف

¹ عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، المرجع السابق، ص 10-12.

² رفاعة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ضمن الفصول المتعلقة بمشاهداته في باريس، ص 82.

³ جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 33-40.

⁴ محمد مصطفى زيادة، في سبيل النهضة العربية: بحوث في التاريخ والحضارة، المرجع السابق، ص 131-145.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

الفكر النهضوي من الغرب قائماً على الإعجاب المطلق أو الرفض المطلق، وإنما جمع في حالات كثيرة بين الاستفادة من العلوم والمعارف الحديثة ورفض السيطرة الأجنبية والاستعمار¹ وقد أسهم الاستعمار الأوروبي في تعميق النقاش حول قضايا الاستقلال والهوية والإصلاح، ودفع عددًا من المفكرين إلى البحث عن صيغة تسمح بالاستفادة من منجزات الحضارة الحديثة مع المحافظة على الخصوصية الثقافية والاستقلال السياسي. ومن هنا ارتبطت النهضة العربية تدريجيًا بقضايا الإصلاح والتحديث من جهة، ومقاومة الاستعمار والدفاع عن الهوية من جهة أخرى²

وبذلك، كان الاحتكاك بالغرب عاملاً ذا تأثير مزدوج في مسار النهضة العربية؛ فقد فتح المجال أمام انتقال العلوم والأفكار والمؤسسات الحديثة، وفي الوقت نفسه كشف عن الفوارق في القوة بين العالم العربي والقوى الأوروبية، وما رافق ذلك من توسع استعماري. ومن ثم أصبح التفاعل مع الغرب أحد المحاور الأساسية التي تشكل حولها الفكر النهضوي العربي، خاصة في قضايا الإصلاح والتحديث والأصالة والمعاصرة والاستقلال والهوية.

المبحث الثالث: رواد النهضة العربية

ارتبطت النهضة العربية الحديثة بظهور عدد من المفكرين والمصلحين الذين اختلفت اهتماماتهم ومشروعاتهم الفكرية، غير أنهم اشتركوا في محاولة معالجة مظاهر الضعف التي عرفت بها المجتمعات العربية، والدعوة إلى إصلاح التعليم والفكر والمجتمع ومؤسسات الدولة وقد تعددت اتجاهاتهم بين الإصلاح الديني، والدعوة إلى الوعي العربي، والانفتاح على العلوم والمعارف الحديثة، والاهتمام بالحرية والقانون والإصلاح الاجتماعي³.

¹ أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 4، 1992م، ص. 25-40.

² ألبرت حوراني، *الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939*، المرجع السابق، ص. 90-110.

³ محمد عابد الجابري، *المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996م، ص 15-22.

المطلب الأول: التيار الإصلاحى الدينى

يمثل التيار الإصلاحى الدينى أحد أبرز الاتجاهات الفكرية التى أسهمت فى تشكيل النهضة العربية الحديثة، إذ انطلق من محاولة معالجة مظاهر الجمود الفكرى والاجتماعى، وإعادة النظر فى أساليب فهم الدين، مع التأكيد على أهمية العقل والاجتهاد والتعليم فى إصلاح المجتمع¹.

وقد ارتبط هذا الاتجاه بالبحث عن سبل للتوفيق بين المحافظة على أصول الفكر الإسلامى والاستجابة لمتطلبات العصر الحديث².

ويُعد جمال الدين الأفغانى من أبرز الشخصيات التى ارتبطت بالحركة الإصلاحية الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فقد ركز على مواجهة مظاهر الضعف والانقسام فى العالم الإسلامى، ودعا إلى تنشيط الوعي السياسى والفكرى ومقاومة التدخل الأجنبى والاستبداد كما ارتبط نشاطه الفكرى بفكرة النهوض من خلال إحياء الوعي وإعادة الاعتبار للعقل والعمل والاجتهاد³.

وقد برز محمد عبده بوصفه أحد أهم ممثلى الإصلاح الدينى فى مصر، حيث جعل إصلاح الفكر والتعليم من القضايا الأساسية فى مشروعه ودعا إلى إعمال العقل والاجتهاد، ورفض الجمود والتقليد الذى يحول دون معالجة قضايا المجتمع المتجددة⁵.

كما أكد أهمية إصلاح التعليم باعتباره وسيلة لتكوين الفرد القادر على التفكير والمشاركة فى إصلاح المجتمع⁴.

وقد اتسم مشروع محمد عبده بمحاولة إقامة علاقة متوازنة بين الدين والعقل، فلم ير فى الاستفادة من المعارف الحديثة خروجًا بالضرورة عن الأصول الدينية، بل سعى إلى إزالة

¹ محمد عمارة، الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع فى إطار الوحدة، دار الشروق، القاهرة، 1995م، ص 43-47.

² محمد عبده، رسالة التوحيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 24-30.

³ محمد عمارة، جمال الدين الأفغانى موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1988م، ص 71-86.

⁴ محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ج. 2، ص 15-25.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

التعارض الذي تصوره البعض بين الدين والعلم والعقل ومن هذا المنطلق أصبح الإصلاح الديني عنده مرتبطاً بالإصلاح الفكري والتربوي والاجتماعي¹.

كما اهتم محمد عبده بإصلاح المؤسسات التعليمية، وانتقد أساليب التعليم القائمة على الحفظ والتلقين عندما تتفصل عن الفهم والتفكير، ودعا إلى تطوير المناهج بما يساعد على بناء شخصية المتعلم وتنمية قدرته على النظر والاستدلال².

ومن الشخصيات الأخرى **عبد الرحمن الكواكبي**، الذي ركز بصورة خاصة على نقد الاستبداد السياسي وآثاره في المجتمع فقد جعل الاستبداد أحد أهم أسباب الانحطاط، وربط بين انتشار الجهل وضعف الوعي من جهة، واستمرار الاستبداد من جهة أخرى³.

وقد عرض الكواكبي في كتابه *طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد* مفهوم الاستبداد وآثاره في مختلف جوانب الحياة، وربطه بتعطيل العلم والحرية والقدرة على التفكير، معتبراً أن انتشار المعرفة والوعي من العوامل التي تساعد المجتمع على مقاومة الاستبداد⁴.

كما أكد أن الإصلاح السياسي لا ينفصل عن الإصلاح الفكري والاجتماعي، لأن تغيير المؤسسات لا يمكن أن ينجح بصورة مستقرة دون وجود وعي اجتماعي مناسب⁵.

ومن خلال هذه النماذج يتضح أن الإصلاح الديني لم يكن منفصلاً عن بقية مجالات النهضة، وإنما تداخل مع التعليم والفكر والسياسة والمجتمع ولذلك أسهم هذا الاتجاه في توسيع مفهوم الإصلاح ليشمل الإنسان والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية، وليس الجانب الديني وحده⁶.

¹ محمد عمارة، الإمام محمد عبده: مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، القاهرة، 1988م، ص 93-105.

² محمد عبده، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص 31-45.

³ محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، مصدر سابق، ج. 3، ص 45-60.

⁴ عبد الرحمن الكواكبي، *طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد*، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط. 2، 2009م، ص 78.

⁵ نفسه، ص 78-82.

⁶ نفسه، ص 105-110.

المطلب الثاني: التيار القومي العربي

ارتبط ظهور الوعي العربي بجملة من التحولات الثقافية والسياسية التي شهدتها المشرق العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ولم يظهر هذا الوعي منذ البداية في صورة مشروع سياسي قومي مكتمل، وإنما بدأ في كثير من مظاهره في المجال الثقافي واللغوي، ثم تطور تدريجياً في ظل التحولات السياسية التي عرفتھا الدولة العثمانية¹.

وكان للغة العربية دور أساسي في تنمية الشعور بالانتماء الثقافي المشترك، كما أسهم الاهتمام بالأدب والتاريخ وإحياء التراث العربي في تعزيز الوعي بالخصوصية الثقافية العربية² وساعد انتشار الطباعة والصحافة والمدارس والجمعيات الثقافية على توفير وسائل جديدة لتداول الأفكار وتوسيع دائرة النقاش حول قضايا اللغة والمجتمع والثقافة³.

ويُعد بطرس البستاني من الشخصيات الثقافية البارزة التي أسهمت في نمو هذا الوعي، فقد اهتم باللغة العربية والتعليم والتأليف والنشر، وأصدر عدداً من الأعمال الموسوعية، كما ارتبط نشاطه بالصحافة والتعليم ونشر المعرفة⁴.

كما ارتبط اسم البستاني بإنشاء المدرسة الوطنية، التي جعل منها مجالاً للتعليم بعيداً عن الانقسامات الطائفية، وبذلك أسهم في ترسيخ فكرة التعليم المشترك وتكوين الفرد القادر على المشاركة في الحياة العامة⁵.

¹ محمد عمارة، *تيارات الفكر الإسلامي*، دار الشروق، القاهرة، 1991م، ص 91-100.

² لبرت حوراني، *الفكر العربي في عصر النهضة*، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، 1986م، ص 145-155.

³ محمد مصطفى زيادة، *في سبيل النهضة العربية: بحوث في التاريخ والحضارة*، دار المعارف، القاهرة، ص 115-125.

⁴ عبد العزيز الدوري، *الجنود التاريخية للقومية العربية*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990م، ص 67-76.

⁵ جرجي زيدان، *تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر*، الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2016م، ص 55-65.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

وفي السياق نفسه، شكلت الصحافة العربية وسيلة مهمة في نشر الأفكار المتعلقة باللغة والثقافة والمجتمع فقد أدى انتشار الصحف والمجلات إلى ظهور فضاء ثقافي جديد أصبحت فيه القضايا العربية موضع نقاش عام، وأسهم ذلك في انتقال عدد من الأفكار من نطاق النخب المحدودة إلى جمهور أوسع¹.

ومع تطور الأحداث السياسية، ولا سيما خلال العقود الأخيرة من الدولة العثمانية، بدأ الوعي العربي ينتقل تدريجيًا من المجال الثقافي إلى المجال السياسي. وقد ارتبط هذا التحول بعوامل متعددة، من بينها سياسات المركزية والتتريك، وما ترتب عليها من نقاش حول مكانة اللغة العربية ودور العرب في مؤسسات الدولة².

وقد ساهم عدد من المثقفين والصحفيين في بلورة هذا الاتجاه، غير أن طبيعة الوعي العربي في القرن التاسع عشر كانت مختلفة عن القومية العربية السياسية التي ظهرت بصورة أكثر وضوحًا خلال القرن العشرين ولذلك ينبغي تجنب إسقاط المفهوم القومي اللاحق على جميع مفكري المرحلة الأولى من النهضة³.

ومن ثم، يمكن القول إن الوعي العربي في بدايات النهضة مر بمراحل متدرجة، بدأ فيها بالاهتمام باللغة والثقافة والتاريخ، ثم تطور لدى بعض النخب إلى المطالبة بقدر أكبر من المشاركة السياسية والاعتراف بالخصوصية العربية⁴.

وعليه، فإن التيار القومي العربي يمكن النظر إليه باعتباره مسارًا تاريخيًا متدرجًا، انتقل من المجال الثقافي واللغوي إلى المجال السياسي، وتفاعلت في تشكيله عوامل التعليم والصحافة والطباعة والتحولات السياسية داخل الدولة العثمانية⁵.

¹ يوسف قزما خوري، *نفيير سورية*، دار فكر للأبحاث والنشر، بيروت، 1990م، ص 9-20.

² محمد مصطفى زيادة، *في سبيل النهضة العربية*، مصدر سابق، ص 126-135.

³ عبد العزيز الدوري، *الجنور التاريخية للقومية العربية*، مصدر سابق، ص 80-92.

⁴ نفسه، ص 93-100.

⁵ ساطع الحصري، *ما هي القومية؟*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985م، ص 35-45.

المطلب الثالث: التيار الليبرالي الثقافي

يمثل التيار الليبرالي الثقافي أحد مظاهر التجديد في الفكر العربي الحديث، وقد ارتبط بمجموعة من القضايا التي برزت نتيجة انتشار التعليم الحديث والترجمة والاحتكاك بالمجتمعات الأوروبية، وفي مقدمتها قضايا العقل والحرية والتعليم والقانون وتنظيم المجتمع¹.

غير أن استخدام مفهوم «الليبرالية» في دراسة الفكر العربي في القرن التاسع عشر يحتاج إلى قدر من الحذر؛ لأن رواد النهضة لم يكونوا مجرد ناقلين للنموذج الأوروبي، وإنما تعاملوا مع الأفكار الوافدة في ضوء مرجعياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية².

ويأتي رفاة رافع الطهطاوي في مقدمة الشخصيات التي أسهمت في هذا المجال، فقد أتاحت له بعثته إلى فرنسا فرصة التعرف بصورة مباشرة على جوانب مختلفة من الحياة الأوروبية، ولا سيما التعليم والعلوم والتنظيم الإداري والقانوني والمؤسسات الثقافية وقد سجل جانباً من مشاهداته وملاحظاته في كتابه *تخليص الإبريز في تلخيص باريز*³.

وقد أتاح احتكاك الطهطاوي بالمجتمع الفرنسي له إجراء مقارنات بين أوضاع المجتمع الأوروبي وأوضاع المجتمع المصري، كما أبدى اهتماماً بالعلوم والمعارف والتنظيم والقوانين والتعليم⁴.

ولم يكن هذا الاهتمام مجرد إعجاب بالمجتمع الأوروبي، بل ارتبط بمحاولة البحث عن العناصر التي يمكن الاستفادة منها في إصلاح المجتمع المصري مع المحافظة على خصوصيته الثقافية والدينية⁵.

¹ عبد العزيز الدوري، *الجنور التاريخية للقومية العربية*، مصدر سابق، ص 101-115.

² محمد عابد الجابري، *المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية*، مصدر سابق، ص 23-31.

³ محمد عمارة، *الصحو الإسلامية والتحديث الحضاري*، دار الشروق، القاهرة، 1991م، ص 25-35.

⁴ رفاة رافع الطهطاوي، *تخليص الإبريز في تلخيص باريز*، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ص 82-91.

⁵ نفسه، ص 84-90.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

وبعد عودته إلى مصر، ارتبط نشاط الطهطاوي بحركة الترجمة والتعليم، وأسهم في تطوير حركة نقل العلوم والمعارف الحديثة إلى اللغة العربية وقد مثلت الترجمة في مشروعه وسيلة لنقل المعارف الأوروبية والاستفادة منها في تطوير التعليم والثقافة¹.

كما ارتبط اسمه بمدرسة الألسن التي كان لها دور في إعداد المترجمين ونقل الكتب والمعارف الحديثة، وهو ما جعل الترجمة عنصراً مهماً في مشروع التحديث الثقافي الذي عرفته مصر خلال القرن التاسع عشر².

ولم يقتصر اهتمام الطهطاوي على العلوم والتعليم، بل تناول كذلك قضايا الحرية والقانون والمساواة وتنظيم المجتمع، وحاول أن يبحث عن أوجه التقارب بين بعض المفاهيم السياسية والاجتماعية الحديثة وبين المبادئ التي عرفها الفكر الإسلامي³.

وفي هذا السياق، يمكن اعتبار الطهطاوي نموذجاً مبكراً لمحاولة بناء علاقة تفاعلية بين التراث والمعارف الحديثة، إذ لم يدعُ إلى القطيعة مع التراث، كما لم يتبنَّ النموذج الأوروبي بصورة مطلقة، وإنما سعى إلى اختيار ما رآه مناسباً لواقع المجتمع المصري⁴.

وإلى جانب الطهطاوي، يمكن الإشارة إلى **بطرس البستاني** باعتباره من أبرز الفاعلين في الحياة الثقافية والتعليمية في المشرق العربي فقد اهتم بالتعليم والطباعة والصحافة والتأليف والنشر، وأسهمت مشروعاته في نشر المعرفة الحديثة وتوسيع دائرة المتعلمين والقراء⁵.

وقد ارتبط نشاط البستاني كذلك بالدعوة إلى بناء مجتمع يقوم على التعليم والمعرفة والتعايش، وهو ما ظهر في كتاباته ومشروعاته التعليمية والصحفية⁶.

¹ رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، المصدر نفسه، ص 88-91.

² جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 33-40.

³ مرطوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، 1934م، ص 10-12.

⁴ رفاة رافع الطهطاوي، مرجع سابق، ص 124.

⁵ محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1998م، ص 75-82.

⁶ جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مصدر سابق، ج. 2، ص 55-65.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

كما يمكن إدراج خير الدين التونسي ضمن سياق التجديد الفكري العربي في القرن التاسع عشر، خاصة من خلال محاولته الاستفادة من التجربة الأوروبية في التنظيم والإدارة والحكم، مع التأكيد على ضرورة ملاءمة ما يتم اقتباسه مع الشريعة والظروف المحلية وقد عرض في كتابه *أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك* عددًا من الأفكار المتعلقة بالعدل والحرية وتنظيم الحكم والاستفادة من تجارب الدول الأوروبية¹.

ومن هنا يتضح أن الاتجاه الذي يمكن تسميته بالليبرالي الثقافي في الفكر النهضوي العربي لم يكن تيارًا متجانسًا، وإنما ضم مفكرين اختلفوا في مرجعياتهم ومجالات اهتمامهم، غير أنهم اشتركوا في الاهتمام بالتعليم والعقل والحرية والقانون والانفتاح على التجارب الإنسانية الحديثة².

وبالتالي، يمكن النظر إلى هذا الاتجاه باعتباره أحد المسارات التي عبّر من خلالها الفكر العربي الحديث عن الحاجة إلى تجاوز الجمود، والاستفادة من المعارف والتجارب الحديثة، مع محاولة الحفاظ بدرجات متفاوتة على عناصر الهوية والتراث³.

أن النهضة العربية الحديثة لم تكن حدثًا مفاجئًا، وإنما جاءت نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها العالم العربي خلال القرن التاسع عشر. فقد أسهمت التحولات الداخلية، والإصلاحات العثمانية، والاحتكاك بالغرب، وانتشار الطباعة والتعليم والصحافة في تهيئة البيئة المناسبة لنمو الفكر النهضوي.

كما أظهر الفصل تعدد الاتجاهات الفكرية التي رافقت النهضة، من الإصلاح الديني إلى الوعي القومي العربي والتجديد الثقافي، واختلاف روادها في منطلقاتهم واهتماماتهم، مع اشتراكهم في السعي إلى تجاوز مظاهر الجمود والتخلف والدعوة إلى الإصلاح والتجديد.

¹ يوسف قزما خوري، *نفير سورية*، مصدر سابق، ص 20-35.

² خير الدين التونسي، *أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك*، تح: المنصف الشنوفي، بيت الحكمة، تونس، ج. 1،

2013م، ص 97.

³ محمد عابد الجابري، *المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية*، مصدر سابق، ص 32-40.

الفصل الأول: الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية

وبذلك شكلت النهضة العربية مرحلة مهمة في تطور الفكر العربي الحديث، ومهدت لظهور مشاريع فكرية واجتماعية وسياسية أكثر وضوحًا في المراحل اللاحقة.

الفصل الثاني: جورج انطونيوس وسياقه الفكري والسياسي

المبحث الأول: حياة جورج وتكوينه الفكري

المطلب الأول : نشأته وتعلمه

المطلب الثاني: المناصب التي شغلها

المطلب الثالث: المؤثرات الفكرية والسياسية في شخصيته

المبحث الثاني: كتابات جورج انطونيوس

المطلب الأول: التعريف بالكتاب يقضة العرب

المطلب الثاني: أهم أفكاره السياسية والفكرية

المطلب الثالث: مكانته في الفكر القومي العربي

المبحث الثالث: منهجه في كتابة التاريخ

المطلب الأول: اعتماده على الوثائق والمراسلات

المطلب الثاني: النزعة القومية في تسيير الاحداث

المطلب الثالث: النقد الموجه لمنهجه التاريخي

المبحث الأول: حياة جورج أنطونيوس وتكوينه الفكري

يُعدّ جورج أنطونيوس- ينظر الملحق 03- من أبرز الأسماء التي ارتبطت بدراسة نشأة الحركة القومية العربية وتطورها خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد اكتسبت أعماله أهمية خاصة بسبب ارتباطها بالتحوّلات السياسية والفكرية التي عرفها المشرق العربي منذ القرن التاسع عشر، ولا سيما بروز الاتجاهات الإصلاحية والقومية، وتطور العلاقة بين العرب والدولة العثمانية، ثم انعكاسات الحرب العالمية الأولى على المنطقة العربية وقد تميزت شخصية أنطونيوس بتداخل التكوين الثقافي الغربي مع الاهتمام بالتاريخ العربي والقضايا السياسية التي عرفها المشرق في مرحلة الانتقال من الحكم العثماني إلى مرحلة الانتداب الأوروبي.

وتزداد أهمية دراسة جورج أنطونيوس بالنظر إلى كتابه «يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية»، الذي صدر بالإنجليزية سنة 1938، ثم أصبح من أكثر المؤلفات حضوراً في الدراسات المتعلقة بتاريخ القومية العربية الحديثة وقد تناول فيه المؤلف تطور الحركة العربية منذ بدايات النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر، مروراً بالحركات والجمعيات العربية، وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى والنتائج السياسية التي ترتبت عليها¹. ومن ثم، فإن دراسة شخصية جورج أنطونيوس لا تنفصل عن دراسة السياق الفكري والسياسي الذي تشكلت فيه أفكاره، كما أن تحليل كتاباته ومنهجه في تناول التاريخ يسمح بفهم طبيعة الإسهام الذي قدمه في كتابة تاريخ الحركة القومية العربية، وفي الوقت نفسه يتيح الوقوف على الانتقادات التي وجهت إلى بعض أطروحاته، خاصة ما يتعلق بتفسيره لبدايات القومية العربية، وتقديره لدور بعض الجمعيات والشخصيات، وطريقة توظيفه للوثائق والمراسلات في بناء روايته التاريخية.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تقديم نبيه أمين فارس، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان

عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 12-23

المبحث الأول: حياة جورج أنطونيوس وتكوينه الفكري

المطلب الأول: نشأته وتكوينه العلمي

ينتمي جورج بن حبيب أنطونيوس إلى أسرة لبنانية من دير القمر، وقد ارتبطت طفولته الأولى بمدينة الإسكندرية التي تلقى فيها جانباً مهماً من تعليمه وتذكر المصادر العربية أنه وُلد في أواخر القرن التاسع عشر، وأن أصله لبناني من دير القمر، قبل أن ينتقل إلى مصر حيث تلقى تعليمه في كلية فيكتوريا بالإسكندرية¹.

وقد شكلت البيئة التعليمية التي نشأ فيها أنطونيوس عنصراً أساسياً في تكوين شخصيته الفكرية؛ فقد كان التعليم في المؤسسات الحديثة في مصر وبلاد الشام خلال تلك المرحلة متأثراً بالمناهج الأوروبية، وهو ما أتاح له الاطلاع المبكر على اللغة والثقافة الإنجليزيتين، ثم الانتقال إلى بريطانيا لاستكمال تعليمه الجامعي ويشير خير الدين الزركلي إلى أن أنطونيوس درس في كلية فيكتوريا ثم التحق بجامعة كمبردج في إنجلترا، حيث تخصص في الهندسة². ويكشف هذا المسار التعليمي عن طبيعة مزدوجة في تكوين أنطونيوس؛ فمن جهة، كان مرتبطاً ببيئة عربية شرقية تشهد صعود حركة النهضة والإصلاح، ومن جهة أخرى تلقى تكويناً علمياً غربياً مكّنه من اكتساب أدوات التفكير والتحليل الحديثة والاحتكاك المباشر بالمجتمع البريطاني وقد انعكس هذا التكوين لاحقاً على أسلوبه في دراسة التاريخ، حيث جمع بين الاهتمام بالقضايا العربية والاستفادة من أساليب البحث والكتابة التاريخية السائدة في البيئة الأوروبية.

ولم يكن اهتمام أنطونيوس بالقضية العربية منفصلاً عن التحولات الفكرية التي شهدتها المشرق العربي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فقد شهدت هذه المرحلة نمو الجمعيات العلمية والأدبية، وانتشار الصحافة، وتوسع التعليم الحديث، وظهور اتجاهات فكرية متعددة

¹ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، ص145.

² نفسه، ج2، ص145.

دعت إلى إصلاح الإدارة والتعليم وإحياء اللغة والثقافة العربية. ويضع أنطونيوس نشأة الحركة القومية العربية ضمن هذا السياق الفكري، ويولي أهمية خاصة للجمعيات الثقافية والعلمية التي ظهرت في بلاد الشام¹.

ويشير في هذا السياق إلى أن حركة اليقظة العربية ارتبطت في بداياتها بالحركة الثقافية التي اهتمت بإحياء اللغة العربية وآدابها، ويربط بين النشاط الثقافي وبين نشوء وعي جديد بالخصوصية العربية. وقد تناول هذا الجانب في سياق حديثه عن الجمعيات العلمية والأدبية في بيروت وبلاد الشام، حيث يبرز دور النشاط الثقافي في تشكيل الوعي الجديد².

ومن أبرز ما يلفت النظر في تكوين أنطونيوس أن اهتمامه بالقومية العربية لم ينشأ بمعزل عن التأثيرات الفكرية الأوروبية؛ بل تشكل في بيئة تجمع بين الثقافة العربية التقليدية والتكوين التعليمي الغربي ولذلك يمكن القول إن شخصيته الفكرية كانت نتاج تفاعل بين عاملين أساسيين: البيئة العربية التي شهدت التحولات السياسية والفكرية الكبرى، والتكوين الغربي الذي حصل عليه في المؤسسات التعليمية الإنجليزية.

كما أن اطلاعه على اللغة الإنجليزية واحتكاكه بالمؤسسات البريطانية أتاح له لاحقاً إمكانية التواصل مع دوائر سياسية وثقافية غربية، وهو ما ساعده على أداء أدوار مختلفة في المجال الإداري والسياسي، ثم على صياغة كتابه باللغة الإنجليزية وبذلك أصبحت معرفته بالثقافتين العربية والغربية إحدى السمات الأساسية التي طبعت نشاطه الفكري والسياسي.

وتظهر أهمية هذا التكوين في فهم طبيعة كتابه «يقظة العرب»، إذ لم يكتب أنطونيوس تاريخ الحركة العربية من موقع المؤرخ المحلي التقليدي، وإنما حاول تقديم القضية العربية للقارئ الغربي أيضاً، وهو ما يفسر استعماله أسلوباً تاريخياً تحليلياً يقوم على عرض الأحداث وربطها بالتطورات السياسية الدولية.

¹ جورج أنطونيوس، مرجع سابق، ص95

² نفسه، ص105، 112

المطلب الثاني: مسيرته المهنية والمناصب التي شغلها

بعد استكمال دراسته الجامعية، انتقل جورج أنطونيوس إلى الحياة المهنية، حيث عمل في عدد من المؤسسات في مصر وفلسطين، ثم ارتبط نشاطه تدريجياً بالمجال السياسي والفكري. ويذكر الزركلي أنه عمل في بلدية الإسكندرية، ثم انتقل إلى القدس موظفاً في إدارة المعارف بعد الحرب العالمية الأولى¹.

وقد سمحت له هذه الوظائف بالاحتكاك المباشر بالإدارة الحديثة وبالأوضاع السياسية والاجتماعية في المشرق العربي، كما جعلته قريباً من عدد من الشخصيات السياسية والفكرية التي كان لها تأثير في الأحداث العربية خلال تلك المرحلة.

ولم يقتصر نشاط أنطونيوس على المجال الإداري؛ فقد شارك في عدد من المهمات السياسية والترجمية، واستفاد من إتقانه اللغة الإنجليزية ومعرفته بالبيئة العربية ويذكر الزركلي أنه شارك في الترجمة بين الحكومة البريطانية والملك عبد العزيز بن سعود في جدة سنة 1927، كما رافق تشارلز كرين في مقابلته للملك عبد العزيز سنة 1931².

وتكشف هذه المهمات عن موقع أنطونيوس الوسيط بين البيئتين العربية والبريطانية، فقد كان قادراً على التعامل مع المسؤولين البريطانيين من جهة، وعلى التواصل مع الشخصيات العربية من جهة أخرى وهو ما جعله شخصية مناسبة للقيام بمهام تتطلب معرفة دقيقة بالثقافتين واللغتين.

كما ارتبط اسمه بالنشاط السياسي العربي في فلسطين، وشارك في الوفد العربي إلى مؤتمر فلسطين في لندن سنة 1939³ ويبين ذلك أن نشاطه لم يعد مقتصرًا على الوظيفة الإدارية أو البحث التاريخي، بل أصبح مرتبطاً بصورة مباشرة بالقضايا السياسية العربية، وخاصة القضية الفلسطينية.

¹ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص145.

² نفسه، ج2، ص145.

³ نفسه، ج2، ص145.

وقد ساعدته هذه الخبرات على بناء شبكة واسعة من العلاقات مع السياسيين والمفكرين، كما وفرت له إمكانية الوصول إلى عدد من الوثائق والمراسلات والمعلومات التي وظفها فيما بعد في كتابه «يقظة العرب» وتظهر هذه الخلفية بوضوح في طبعة الكتاب الذي يجمع بين السرد التاريخي والتحليل السياسي والاعتماد على الوثائق.

ومن الجوانب المهمة في مسيرته أيضًا علاقته بتشارلز كرين، الذي ارتبط اسمه بالمشروع الذي انتهى إلى ظهور «يقظة العرب». وتشير دراسة محمد محمود شلباية إلى أن أنطونيوس استفاد من علاقته بكرين في إعداد الكتاب، وأن هذا الأخير وفر له الدعم الذي ساعده على إنجاز العمل خلال سنوات الثلاثينيات¹

وقد كان هذا الارتباط موضع نقاش في الدراسات اللاحقة، إذ رأى بعض الباحثين أن معرفة ظروف إنتاج الكتاب وعلاقات مؤلفه السياسية ضرورية لفهم بعض اختياراته التاريخية، في حين أن آخرين ركزوا بصورة أكبر على القيمة الوثائقية للكتاب وعلى أهميته في تاريخ القومية العربية.

وفي جميع الأحوال، فإن المسيرة المهنية لأنطونيوس تفسر جانبًا مهمًا من شخصيته الفكرية؛ فهو لم يكن مؤرخًا منعزلًا عن الأحداث، بل كان موظفًا ومترجمًا وناشطًا في المجال السياسي، وعاش بنفسه جزءًا من التحولات التي تناولها في كتابه.

المطلب الثالث: المؤثرات الفكرية والسياسية في تكوين شخصيته

تشكلت شخصية جورج أنطونيوس الفكرية في مرحلة تاريخية شهدت تغيرًا عميقًا في بنية المجتمع العربي وفي علاقته بالدولة العثمانية والقوى الأوروبية. فقد أدى انتشار التعليم الحديث والصحافة والجمعيات العلمية والأدبية إلى نشوء بيئة فكرية جديدة، أخذت تطرح قضايا الإصلاح والحرية والتعليم واللغة والهوية.

¹ محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق: ما بين رومنسيات الخيال والغموض الاستعماري وجدل القومية المتدفق، عمان، 2022، ص 47-50

وكانت النهضة الثقافية في بلاد الشام من أهم المؤثرات التي أسهمت في تشكيل الوعي العربي الحديث. وقد أولى أنطونيوس أهمية كبيرة للجمعيات العلمية والأدبية، وربط بينها وبين تطور الفكرة العربية، وخاصة الجمعية السورية التي ظهرت في بيروت خلال القرن التاسع عشر¹ ويرى أنطونيوس أن الاهتمام باللغة العربية وآدابها كان من المقدمات الأساسية للوعي القومي، حيث أصبحت اللغة عنصراً من عناصر الشعور بالانتماء المشترك. وقد تناول في كتابه جهود عدد من رواد النهضة، ومنهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني، وربط نشاطهما بالحركة الثقافية العربية. وقد وردت إحالات عربية مباشرة إلى الصفحات 105 وما بعدها من الكتاب في الدراسات التي تناولت النهضة الفكرية واللغوية في بلاد الشام² كما تأثر أنطونيوس بالتحويلات السياسية التي عرفت الدولة العثمانية، وخاصة الإصلاحات الدستورية والسياسات التي ارتبطت بعهد السلطان عبد الحميد الثاني ثم حركة الاتحاد والترقي. فقد رأى أن تطور النزعة القومية العربية لا يمكن فهمه بعيداً عن التحويلات التي طرأت على السياسة العثمانية تجاه الولايات العربية.

وفي هذا السياق، تناول العلاقة بين العرب والدولة العثمانية، وتطور مطالب الإصلاح، ثم انتقال بعض الاتجاهات العربية من المطالبة بالإصلاح داخل الدولة إلى المطالبة بدرجات مختلفة من الاستقلال السياسي. وقد استند في ذلك إلى عدد من الوثائق والمراسلات والشهادات التاريخية³

وكانت الجمعيات السرية والأحزاب العربية من المؤثرات الأخرى في فكر أنطونيوس، خاصة تلك التي نشطت في أواخر العهد العثماني. وقد أولى أهمية للجمعيات العربية التي ظهرت في دمشق وبيروت وغيرها من المدن، وربط نشاطها بتطور الحركة السياسية العربية. وتظهر

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 95.

² نفسه، ص 105-112.

³ نور الدين زين، نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات التركية، بيروت، دار النهار، ص 101

إحالات الدراسات العربية إلى كتابه أنه تناول بعض هذه الجمعيات في الصفحات 149-150¹

كما كان للتيار الإصلاحي الإسلامي تأثير غير مباشر في البيئة الفكرية التي نشأ فيها أنطونيوس، إذ تزامن نشاط عدد من المفكرين الإصلاحيين مع نمو الاتجاهات القومية. ولم تكن العلاقة بين الإصلاح الإسلامي والقومية العربية علاقة انفصال كامل في بداياتها، وإنما تداخلت عدة اتجاهات في مواجهة الاستبداد والدعوة إلى الإصلاح وإحياء الثقافة العربية. ومن الشخصيات التي حضرت في هذا السياق عبد الرحمن الكواكبي، الذي تناول أنطونيوس شخصيته وفكره، مشيراً إلى موقفه من الاستبداد والتعصب والظلم. وقد أحالت الدراسات العربية إلى الصفحة 169 من «يقظة العرب» في هذا السياق²

ومن جهة أخرى، أثرت الحرب العالمية الأولى بصورة عميقة في رؤية أنطونيوس السياسية والتاريخية. فقد كانت الحرب نقطة تحول في علاقات العرب بالدولة العثمانية وبالقوى الأوروبية، كما شكلت الثورة العربية الكبرى والمراسلات بين الشريف حسين والحكومة البريطانية جزءاً أساسياً من روايته التاريخية³.

ومن ثم يمكن تحديد أهم المؤثرات في تكوين شخصية أنطونيوس في ثلاثة مستويات مترابطة: أولها التكوين الثقافي والتعليمي الغربي، وثانيها النهضة الفكرية العربية وما صاحبها من نشاط لغوي وصحفي وجمعياتي، وثالثها التحولات السياسية التي عرفها المشرق العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 149-150

² نفسه، ص 169.

³ سليمان موسى، الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، دار النهار، بيروت، ص 22-24

المبحث الثاني: كتابات جورج أنطونيوس وأفكاره

المطلب الأول: التعريف بكتاب يقظة العرب

يُعد كتاب «يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية» أهم أعمال جورج أنطونيوس وأكثرها شهرة، وقد صدر لأول مرة باللغة الإنجليزية في لندن سنة 1938، ثم تُرجم إلى العربية في عدة طبعات. ومن أشهر الطبعات العربية الطبعة الثامنة التي صدرت عن دار العلم للملايين في بيروت سنة 1987، بترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس وتقديم نبيه أمين فارس، وتقع في 653 صفحة¹

ويكتسب الكتاب أهميته من كونه محاولة مبكرة وشاملة لتقديم تاريخ الحركة القومية العربية الحديثة، إذ لم يقتصر المؤلف على مرحلة واحدة، وإنما حاول تتبع جذور النهضة العربية منذ التحولات التي عرفتھا الدولة العثمانية والمشرق العربي، ثم تطور الحركة الفكرية والقومية، وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من تطورات سياسية.

وقد قسم أنطونيوس كتابه إلى مجموعة من الفصول التي تتناول مراحل متتابعة من التاريخ العربي الحديث. ويبدأ الكتاب بعرض عام للأوضاع السياسية التي سبقت تشكل الحركة العربية الحديثة، ثم يتناول مرحلة محمد علي باشا، فالنهضة الفكرية، ثم نشوء الجمعيات العربية، والعلاقة بين العرب والدولة العثمانية، وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى والنتائج التي ترتبت عليها. وتشير دراسة عربية إلى أن أنطونيوس خصص الصفحات الأولى من الكتاب لعرض الخلفية التاريخية، حيث تناول محمد علي في الصفحة 12، واليقظة العربية والحركة الفكرية في الصفحة 13.²

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تقديم نبيه أمين فارس، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص365.

² نفسه، ص12-13.

وتبرز في الكتاب مكانة اللغة العربية والثقافة العربية باعتبارهما عنصرين أساسيين في عملية اليقظة. فقد ربط أنطونيوس بين النهضة الأدبية واللغوية وبين ظهور وعي عربي جديد، واهتم بصورة خاصة بالجمعيات العلمية والثقافية التي ظهرت في بيروت وبلاد الشام.

كما تناول الكتاب عددًا من الشخصيات العربية المؤثرة في مسار النهضة، مثل ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم، كما تناول الشخصيات السياسية التي ارتبطت بالحركة العربية في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى وخلالها.

ويحتل موضوع الحرب العالمية الأولى مكانة واسعة في الكتاب، إذ ركز أنطونيوس على العلاقة بين العرب وبريطانيا، وعلى المراسلات بين الشريف حسين وهنري مكماهون، وعلى الثورة العربية الكبرى، ثم على التسويات التي أعقبت الحرب.

وقد أصبح الكتاب لاحقًا مصدرًا مهمًا للباحثين في تاريخ القومية العربية، ليس فقط بسبب المعلومات التي يتضمنها، وإنما أيضًا بسبب الوثائق والمراسلات التي نشرها أو أحال إليها. ومن ذلك أن مراسلات حسين-مكماهون أصبحت من المصادر الأساسية التي ارتبط نشرها ودراستها بكتاب «يقظة العرب».¹

كما تناول أنطونيوس المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وما ارتبط بها من مؤتمر باريس للسلام، ومؤتمر سان ريمو، وتطور الأوضاع في سورية والعراق وفلسطين. وقد امتدت روايته في هذا المجال إلى صفحات متقدمة من الكتاب، من بينها الصفحات 278-284 المتعلقة بالتطورات السياسية بعد الحرب.²

وبذلك يمكن القول إن «يقظة العرب» ليس مجرد دراسة للقومية العربية، بل هو عمل تاريخي سياسي واسع حاول مؤلفه من خلاله تفسير التحولات التي عرفها العالم العربي خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وربطها بالسياق الدولي الذي كانت فيه بريطانيا وفرنسا من القوى الفاعلة في المنطقة.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 184-185

² نفسه، ص 278-284.

المطلب الثاني: أهم أفكاره السياسية والفكرية

تقوم أفكار جورج أنطونيوس السياسية والفكرية في «يقظة العرب» على محاولة تفسير نشأة الوعي القومي العربي وتطوره في ظل التحولات التي عرفها المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ومن أهم الأفكار التي تظهر في كتابه أن القومية العربية لم تظهر فجأة نتيجة للحرب العالمية الأولى، وإنما سبقتها مرحلة طويلة من التطور الثقافي والفكري. ويربط أنطونيوس هذه المرحلة بنشاط الجمعيات الأدبية والعلمية، وبإحياء اللغة العربية وآدابها، وبانتشار التعليم والصحافة. وقد خصص جزءاً مهماً من الكتاب لتتبع هذا التطور¹

ويرى أنطونيوس أن اللغة العربية شكلت عنصراً رئيسياً في الوعي بالانتماء المشترك، ولذلك أعطى اهتماماً كبيراً للنهضة اللغوية والأدبية. وتظهر إحالات عربية إلى الصفحات 104-105 من الكتاب في هذا السياق، حيث يناقش المؤلف التطور الثقافي واللغوي الذي ارتبط بالنهضة العربية²

ومن الأفكار الأساسية كذلك تأكيده على أهمية الجمعيات العربية في تطور الوعي القومي. فقد تناول الجمعية العلمية السورية والجمعيات التي ظهرت لاحقاً، واعتبر النشاط الجمعياتي مرحلة مهمة من مراحل الانتقال من النهضة الثقافية إلى العمل السياسي المنظم.

وقد أشار إلى الجمعية العلمية السورية باعتبارها من المقدمات التي ساعدت في تطور الفكر القومي، وهو ما أصبح لاحقاً من أكثر جوانب أطروحته إثارة للنقاش بين الباحثين؛ فبعض الدراسات ترى أنه بالغ في تقدير دورها مقارنة بعوامل اجتماعية وسياسية أخرى³

ومن الأفكار التي احتلت مكانة مهمة في كتابه أيضاً العلاقة بين العرب والدولة العثمانية. فقد حاول تفسير الانتقال من المطالبة بالإصلاح داخل الدولة إلى ظهور اتجاهات تطالب

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 95-105.

² نفسه، ص 104-105.

³ نفسه، ص 149-150.

بدرجات أكبر من الاستقلال العربي. وقد ربط هذا التحول بتطور السياسة العثمانية وبظهور الاتجاهات القومية التركية.

كما تناول موقف العرب من جمعية الاتحاد والترقي، واعتبر التحول الذي طرأ على سياسة الاتحاديين تجاه العرب عاملاً مهماً في زيادة التوتر بين الطرفين. وتظهر إحالات الدراسات العربية إلى الصفحات 176 وما بعدها من الكتاب في هذا السياق¹

ويرتبط بذلك تصور أنطونيوس للحركة العربية بوصفها حركة تطورت تدريجياً من النشاط الثقافي إلى النشاط السياسي، ثم تحولت خلال الحرب العالمية الأولى إلى حركة سياسية ذات مطالب واضحة.

ومن أهم القضايا التي تناولها أيضاً قضية الثورة العربية الكبرى. فقد أعطاها مكانة بارزة في تفسيره لتطور الحركة القومية، وربطها بالمراسلات بين الشريف حسين والحكومة البريطانية. وقد تناول بالتفصيل المراسلات التي جرت بين حسين ومكماهون، والوعود التي ارتبطت بها، ثم النتائج التي ترتبت على السياسة البريطانية بعد الحرب²

كما ركز على القضية الفلسطينية وعلى الوعود البريطانية للعرب، وربط بين السياسة البريطانية أثناء الحرب وبين التطورات اللاحقة في فلسطين. وقد ساهم ذلك في جعل «يقظة العرب» من الكتب التي استُخدمت في الدراسات المتعلقة بتاريخ القضية الفلسطينية والمراسلات السياسية خلال الحرب العالمية الأولى.

وتتضمن أفكاره أيضاً تصوراً للقومية العربية باعتبارها تعبيراً عن وحدة تاريخية وثقافية ولغوية بين العرب. وقد نظر إلى العرب باعتبارهم أمة ذات مقومات مشتركة، وأن هذه المقومات يمكن أن تشكل أساساً للوحدة السياسية.

¹ جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص 176.

² نفسه، ص 125

وقد وصف شلباية، في دراسته الحديثة لأنطونيوس، هذا الجانب من الكتاب بأنه يقوم على تصور قومي يرى في الأدلة والشواهد التاريخية والثقافية ما يدعم فكرة وحدة العرب، وقد أشار إلى الصفحات 189-190 من كتابه في هذا الصدد.¹

ومن ناحية أخرى، كان موقف أنطونيوس من السياسة البريطانية بعد الحرب العالمية الأولى من أهم جوانب أفكاره السياسية؛ إذ انتقل في الكتاب من وصف الوعود البريطانية للعرب إلى تحليل التناقض بينها وبين الاتفاقات والتسويات التي أعقبت الحرب.

وبذلك يمكن تلخيص أهم أفكاره في أربعة محاور: نشأة الوعي العربي من خلال النهضة الثقافية واللغوية، تطور الحركة القومية من المجال الثقافي إلى السياسي، دور الحرب العالمية الأولى والثورة العربية في انتقال الحركة إلى مرحلة جديدة، ثم نقد السياسة البريطانية والنتائج التي ترتبت عليها في المشرق العربي.

المطلب الثالث: مكانته في الفكر القومي العربي

احتل جورج أنطونيوس مكانة بارزة في الدراسات المتعلقة بتاريخ القومية العربية، ويرجع ذلك أساسًا إلى طبيعة كتابه «يقظة العرب» الذي أصبح من المؤلفات المرجعية في دراسة نشأة الحركة القومية العربية الحديثة.

وتعود أهمية الكتاب إلى أنه جاء في مرحلة كانت فيها الدراسات التاريخية حول القومية العربية لا تزال في طور التشكل، فقدم أنطونيوس سردًا واسعًا لمسار الحركة العربية، وربط بين التطورات الثقافية والسياسية والعسكرية التي شهدتها المشرق العربي.

كما أن أهمية أنطونيوس لا ترتبط فقط بكونه مؤلفًا لكتاب تاريخي، وإنما كذلك بكونه شخصية عاشت جزءًا من الأحداث التي تناولها، واحتكت بالعديد من الشخصيات السياسية العربية والبريطانية. وقد مكّنه ذلك من جمع عدد من الوثائق والمعلومات التي وظفها في كتابه.

¹ محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح النواحي، ص 189-190.

وقد أصبح «يقظة العرب» من الكتب التي يعتمد عليها الباحثون عند دراسة تاريخ القومية العربية، خاصة فيما يتعلق بالفترة الممتدة من القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. وتوجد إحالات واسعة في الدراسات العربية إلى الكتاب وصفحاته المختلفة، منها الصفحة 176 المتعلقة بالحركة القومية، والصفحات 278-284 المتعلقة بالمرحلة السياسية التي أعقبت الحرب.¹

كما أن مكانة الكتاب ارتبطت بالدور الذي أداه في تقديم القضية العربية إلى القارئ الغربي، إذ صدر أصلاً باللغة الإنجليزية، الأمر الذي جعله متاحاً للباحثين وصناع القرار في البيئة السياسية والثقافية الغربية.

وفي هذا السياق، يشير محمد محمود شلباية إلى أن الكتاب اكتسب أهمية واسعة في الأوساط السياسية والفكرية، وأنه حظي باهتمام متزايد خلال العقود التي أعقبت صدوره، خاصة في الدراسات المتعلقة بالقومية العربية والقضية الفلسطينية.²

ومن جهة أخرى، فإن مكانة أنطونيوس في الفكر القومي العربي لم تكن محل اتفاق كامل؛ إذ ارتبطت بها نقاشات حول تفسيره لبدايات القومية العربية، ومدى تقديره لدور الجمعيات المسيحية العربية، وطريقة تناوله لبعض الشخصيات السياسية والفكرية، وكذلك طبيعة علاقاته بالدوائر البريطانية.

ولهذا فإن تقييم مكانة أنطونيوس ينبغي أن يفرق بين أمرين: الأول هو القيمة التاريخية والوثائقية لكتابه باعتباره مصدرًا مهمًا من مصادر دراسة القومية العربية، والثاني هو ضرورة إخضاع تفسيراته التاريخية للنقد والمقارنة بالمصادر الأخرى.

وقد ساهم باحثون عرب في إعادة قراءة تجربة أنطونيوس بصورة نقدية، ومن بينهم محمد محمود شلباية الذي خصص كتابًا كاملاً لدراسة شخصيته وكتابه، وركز فيه على العلاقة بين

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 176، 278-284.

² محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق، ص 78، 189-190.

التكوين الفكري لأنطونيوس وبين السياق السياسي والاستعماري الذي أحاط بمرحلة تأليف «يقظة العرب».¹

ومن ثم يمكن القول إن مكانة أنطونيوس في الفكر القومي العربي تقوم على كونه من أبرز من قدموا رواية متكاملة عن نشأة الحركة القومية العربية الحديثة، مع بقاء هذه الرواية موضوعاً للبحث والنقد والمقارنة.

¹ محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق، ص78، 189-190.

المبحث الثالث: منهج جورج أنطونيوس في كتابة التاريخ

المطلب الأول: الاعتماد على الوثائق والمراسلات والمصادر التاريخية

يتميز منهج جورج أنطونيوس في «يقظة العرب» بكثرة اعتماده على الوثائق والمراسلات والشهادات السياسية، وهو ما جعل كتابه يتجاوز مجرد السرد العام للأحداث إلى محاولة بناء رواية تاريخية تستند إلى الأدلة المكتوبة.

وتظهر أهمية هذا الجانب بوضوح في تناوله للعلاقات العربية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، وخاصة المراسلات بين الشريف حسين وهنري مكماهون. فقد اعتمد على هذه المراسلات في تحليل الوعود البريطانية للعرب، ثم قارن بينها وبين السياسة البريطانية التي اتبعت بعد الحرب.

وقد احتلت مراسلات حسين-مكماهون مكانة مهمة في الكتاب، وأصبحت من أكثر أجزاء العمل استخدامًا في الدراسات اللاحقة المتعلقة بالثورة العربية الكبرى وبالسياسة البريطانية في المشرق العربي. وتشير إحالات عربية إلى صفحات مختلفة من الكتاب تناولت هذه المراسلات، منها الصفحات 125 وما بعدها.¹

كما اعتمد أنطونيوس على شهادات عدد من الشخصيات التي عاصرت الأحداث، وعلى معلومات حصل عليها من مقابلات واتصالات شخصية. وتذكر المصادر المتعلقة بسيرته أنه قام بجولة التقى خلالها بعدد من الأشخاص الذين كانوا على معرفة بتاريخ العرب الحديث، وجمع منهم معلومات وظفها في عمله.²

وهذا النوع من المصادر منح كتابه قيمة خاصة، لأن المؤلف لم يعتمد فقط على الكتب المنشورة، وإنما استفاد كذلك من الوثائق والمراسلات والمعلومات الشخصية.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص125

² خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص145

وقد ظهر هذا الأسلوب بوضوح في تناوله للثورة العربية الكبرى؛ إذ لم يكتف بوصف الأحداث العسكرية، وإنما حاول تحليل الاتصالات السياسية التي سبقتها، والوعود التي قدمتها بريطانيا للشريف حسين، ثم التطورات التي أدت إلى اختلاف المواقف بعد الحرب.

كما تناول أنطونيوس عددًا من الوثائق المتعلقة بالتسويات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وربط بينها وبين التطورات السياسية في سورية والعراق وفلسطين¹.

وقد أدى هذا الاعتماد الواسع على الوثائق إلى منح الكتاب قيمة مصدريّة كبيرة، لكنه في الوقت نفسه جعل طريقة اختيار الوثائق وترتيبها وتفسيرها موضوعًا مهمًا للنقد التاريخي؛ لأن الوثيقة لا تقدم بالضرورة تفسيرًا نهائيًا للحدث، وإنما تحتاج إلى وضعها في سياقها السياسي والتاريخي ومقارنتها بالوثائق الأخرى².

ومن هنا فإن المنهج الوثائقي عند أنطونيوس يمثل أحد أهم عناصر قوة كتابه، لكنه في الوقت نفسه يتطلب من الباحث المعاصر عدم الاكتفاء بروايته، بل مقارنة وثائقه مع المصادر العربية والعثمانية والبريطانية وغيرها³.

المطلب الثاني: النزعة القومية في تفسير الأحداث التاريخية

تُعد النزعة القومية من أبرز السمات التي طبعت تفسير جورج أنطونيوس للأحداث التاريخية في «يقظة العرب» فقد انطلق من فكرة أساسية مفادها أن العرب يشكلون جماعة تاريخية وثقافية ذات مقومات مشتركة، وأن تطور الحركة القومية يمثل تعبيرًا سياسيًا عن هذا الوعي. ويتضح ذلك في اهتمامه الكبير باللغة العربية وآدابها، وفي تفسيره لنشاط الجمعيات الثقافية باعتباره مرحلة من مراحل تكوين الوعي العربي وقد جعل من النهضة اللغوية والأدبية أحد المداخل الأساسية لفهم تطور الحركة القومية⁴.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 184-185

² نفسه، ص 278-284.

³ محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق، ص 133-137

⁴ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 104-105.

كما أنه يربط بين تطور الشعور العربي وبين التحولات السياسية في الدولة العثمانية، ولا سيما عندما بدأت النزعة القومية التركية تتخذ أشكالاً أكثر وضوحاً خلال أواخر العهد العثماني. وقد أدى ذلك في تصوره إلى دفع قطاعات من العرب نحو البحث عن إطار سياسي يحافظ على خصوصيتهم الثقافية والقومية.

وتظهر هذه النزعة في طريقة تعامله مع الجمعيات العربية، حيث يميل إلى إبراز دورها في تشكيل الوعي السياسي. وقد اعتبر الجمعية العلمية السورية من المراحل المهمة في هذا المسار، وربط بين نشاطها الثقافي وبين تطور الفكرة العربية.¹

كما تظهر النزعة القومية بصورة واضحة في تفسيره للحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى؛ إذ ركز على المطالب العربية وعلى الوعود التي قدمتها بريطانيا، ثم على خيبة الأمل التي أصابت الحركة العربية بعد انتهاء الحرب.

وفي هذا الإطار، أصبح مفهوم الاستقلال العربي أحد المفاهيم المركزية في روايته التاريخية، حيث ينظر إلى الثورة العربية باعتبارها جزءاً من مسار أوسع نحو التحرر والاستقلال. وقد ساعد هذا المنظور على منح كتاب «يقظة العرب» طابعاً قومياً واضحاً، إلا أنه في الوقت نفسه جعل بعض الباحثين يطالبون بإعادة قراءة الأحداث من زوايا أخرى، بحيث لا تقتصر على الرواية القومية، وإنما تشمل أيضاً العوامل الاجتماعية والاقتصادية والمحلية والدولية. ويشير يوسف الشويري في دراسته للقومية العربية إلى أن تشكل الفكرة القومية لم يكن عملية بسيطة أو أحادية الاتجاه، وإنما مر بمراحل متعددة، وتداخلت فيه عناصر اللغة والثقافة والسياسة والمجتمع. وقد تناول تطور الفكرة القومية العربية في سياق تاريخي أوسع، وهو ما يسمح بوضع أطروحة أنطونيوس ضمن إطار أكثر شمولاً.²

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب ص، 1490150.

² يوسف الشويري، القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي: نظرة تاريخية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص78-99

ومن جهة أخرى، فإن النزعة القومية عند أنطونيوس لا تعني أنه أغفل تمامًا العوامل الدولية؛ بل على العكس، فقد أولى اهتمامًا كبيرًا للدور البريطاني والفرنسي، وللتوازنات الدولية التي أثرت في مستقبل المنطقة.¹

غير أن مركزية القضية العربية في روايته جعلته يفسر عددًا كبيرًا من الأحداث من زاوية العلاقة بين العرب والقوى الأجنبية، وهو ما منح كتابه قوة تفسيرية بالنسبة للباحثين في الفكر القومي، لكنه جعله أيضًا عرضة للانتقاد من جانب بعض الباحثين الذين رأوا ضرورة توسيع دائرة التفسير.²

المطلب الثالث: النقد الموجه إلى منهجه التاريخي

على الرغم من المكانة التي احتلها «يقظة العرب» في دراسة تاريخ القومية العربية، فإن منهج جورج أنطونيوس لم يخل من الملاحظات والانتقادات، سواء فيما يتعلق بتفسيره لبدايات الحركة القومية، أو بتركيزه على بعض الشخصيات والجمعيات، أو بطريقة توظيفه للوثائق في بناء الرواية التاريخية.

ومن أبرز الملاحظات التي يمكن تسجيلها أن أنطونيوس أعطى أهمية كبيرة لبعض الجمعيات الثقافية، ولا سيما الجمعية العلمية السورية، في تفسير نشأة القومية العربية وقد رأى بعض الباحثين أن هذا التقدير يحتاج إلى إعادة نظر، لأن نشأة الوعي العربي كانت نتيجة تفاعل عوامل متعددة، ولم تكن مرتبطة بمؤسسة واحدة أو بمجموعة محددة من المثقفين.

وتشير دراسة عربية متخصصة في النهضة العربية إلى أن أنطونيوس بالغ في تقدير دور الجمعية العلمية السورية، واعتبرها من المقدمات الأساسية للحركة القومية، في حين أن دراسة نشاط الجمعية نفسها تكشف عن طابع ثقافي وعلمي متنوع، ولا تسمح بالضرورة باختزال نشأة القومية العربية فيها وحدها.³

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص176

² يوسف الشويري، المرجع السابق، ص95-99.

³ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص169

كما تعرض أنطونيوس للنقد بسبب الطريقة التي تناول بها بعض الشخصيات الفكرية، وخاصة عبد الرحمن الكواكبي. فقد ركز على موقف الكواكبي من الاستبداد، إلا أن بعض القراءات اللاحقة رأت أن معالجة أنطونيوس لفكر الكواكبي لم تستوف جميع أبعاده الفكرية والسياسية. وتظهر إحالات الدراسات العربية إلى الصفحة 169 من «يقظة العرب» في هذا السياق.¹ ومن الانتقادات الأخرى أن النزعة القومية التي وجهت تفسير أنطونيوس جعلته يميل أحياناً إلى تفسير الأحداث من منظور العلاقة بين العرب والقوى الأجنبية، وهو ما قد يؤدي إلى تراجع بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية والمحلية في تفسير الأحداث. كما أن اعتماد المؤلف على الوثائق والمراسلات، رغم أهميته، لا يلغي الحاجة إلى نقد الوثيقة نفسها. فالمراسلات السياسية، على سبيل المثال، تعكس مواقف أطرافها في ظروف تاريخية محددة، وقد تحمل عبارات دبلوماسية أو غامضة لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق الذي كتبت فيه.

ولهذا فإن الاستفادة من «يقظة العرب» تتطلب الجمع بين قيمته كمصدر وثائقي وبين التعامل النقدي مع تفسيراته. فالمصدر التاريخي لا يصبح موضوعياً بصورة مطلقة لمجرد أنه يستند إلى وثائق، وإنما ينبغي التحقق من طبيعة الوثيقة ومصدرها والظروف التي أنتجت فيها. وقد اتجهت دراسات عربية حديثة إلى إعادة قراءة شخصية أنطونيوس وكتابه بصورة نقدية. ومن ذلك دراسة محمد محمود شلابة التي تناولت شخصية أنطونيوس وكتاب «يقظة العرب»، وخصصت جانباً من عملها لدراسة ما وصفته بالمزيج بين الطموح الفكري والسياق الاستعماري والسياسي الذي أحاط بعمله.²

¹ محمد محمود شلابة، جورج أنطونيوس: الطموح التواق، ص 111-137.

² محمد محمود شلابة، جورج أنطونيوس: الطموح التواق، ص 189-190.

كما ركزت الدراسة نفسها على ضرورة إجراء قراءة نقدية للكتاب، مع الاعتراف في الوقت نفسه بأهميته الوثائقية. وقد أشارت إلى أن الكتاب يتضمن عددًا كبيرًا من الأدلة والشواهد والقرائن التي حاول أنطونيوس توظيفها لإثبات أطروحته حول وحدة العرب والقومية العربية.¹ وعليه، فإن النقد الموجه إلى منهج أنطونيوس لا يعني إسقاط القيمة العلمية لكتابه، وإنما يدعو إلى استخدامه ضمن منظومة أوسع من المصادر، بحيث تتم مقارنته بالمصادر العربية والعثمانية والأجنبية، وبالدراسات الحديثة التي أعادت قراءة تاريخ القومية العربية من زوايا مختلفة.²

ومن الناحية المنهجية، يمكن اعتبار «يقظة العرب» مصدرًا مهمًا من مصادر دراسة التاريخ السياسي والفكري العربي الحديث، مع ضرورة التمييز بين الوثائق التي أوردها المؤلف وبين تفسيره الشخصي لها. وهذا التمييز ضروري حتى لا تتحول رواية المؤلف إلى حقيقة تاريخية نهائية، وإنما تبقى إحدى الروايات التي تحتاج إلى المقارنة والتحليل والنقد.

¹ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، ط3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص28، 131-133.

² توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914م، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1991، ص61-98.

يتضح من خلال دراسة حياة جورج أنطونيوس وتكوينه الفكري والسياسي أنه نشأ في بيئة عربية شهدت تحولات فكرية وسياسية عميقة، وتلقى في الوقت نفسه تكوينًا تعليميًا غربيًا أتاح له الجمع بين المعرفة بالثقافة العربية والاطلاع على الفكر والمؤسسات الأوروبية. وقد انعكس هذا التكوين المزدوج على مسيرته المهنية والفكرية، فانتقل من العمل الإداري والترجمة إلى النشاط السياسي والتأليف التاريخي.

وقد احتل كتابه «يقظة العرب» مكانة خاصة في دراسة تاريخ القومية العربية الحديثة، نظرًا لاتساع الموضوعات التي تناولها واعتماده على الوثائق والمراسلات والشهادات، إضافة إلى محاولته تفسير تطور الحركة العربية من النهضة الثقافية إلى النشاط السياسي، ثم إلى الثورة العربية خلال الحرب العالمية الأولى.

كما كشفت الدراسة أن أفكار أنطونيوس قامت على مركزية اللغة والثقافة والوعي القومي في تفسير نشأة الحركة العربية، وعلى اعتبار التحولات التي عرفتتها الدولة العثمانية، ثم الحرب العالمية الأولى والسياسة البريطانية، عوامل رئيسية في انتقال القومية العربية من المجال الفكري إلى المجال السياسي.

وفي المقابل، فإن أهمية أنطونيوس لا تمنع من إخضاع منهجه للنقد؛ فقد أثّرت ملاحظات حول تقديره لدور بعض الجمعيات والشخصيات، وحول تأثير المنظور القومي في تفسير الأحداث، فضلًا عن ضرورة التعامل النقدي مع الوثائق والمراسلات التي اعتمد عليها. ولذلك فإن القيمة العلمية لكتاب «يقظة العرب» تتعزز عندما يُستخدم ضمن مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، ولا يُعامل معه باعتباره الرواية الوحيدة لتاريخ القومية العربية.

وبناءً على ذلك، يمكن اعتبار جورج أنطونيوس شخصية مهمة في تاريخ الفكر القومي العربي وكتابة تاريخ النهضة العربية الحديثة، مع ضرورة الفصل بين قيمة عمله كمصدر تاريخي وبين تفسيراته الخاصة للأحداث. وهذا ما يجعل دراسة منهجه وأفكاره ذات أهمية لفهم تطور

الكتابة التاريخية حول الحركة القومية العربية، ولتحديد موقع «يقظة العرب» ضمن الدراسات التي تناولت نشأة الفكر القومي العربي وتطوره.

الفصل الثالث: النهضة العربية في فكر جورج انطونيوس

المبحث الأول: النهضة كما رآها انطونيوس

المطلب الأول: العلاقة بين النهضة والقومية

المطلب الثاني: دور اللغة والثقافة والجمعيات

المطلب الثالث: الثورة وما ترتب عليها

المبحث الثاني: نقد وتحليل اطروحاته

المطلب الأول: البعد الموضوعي والانتقادات العربية الغربية

المطلب الثاني: أثره الفكري في الفكر العربي المعاصر

المبحث الثالث: المؤيدون والمعارضون للفكر النهضوي لأنطونيوس

المطلب الأول: المؤيدون : ساطع الحصري، قسطنطين رزيق، الحوراني

المطلب الثاني: المعارضون: برنارد لوين، ...

المبحث الرابع: تقييم فكره النهضوي

المطلب الأول: نقاط القوة

المطلب الثاني: نقاط الضعف

المطلب الثالث: القيمة الفكرية

تمثل النهضة العربية إحدى أهم القضايا التي ارتبطت بتطور الفكر العربي الحديث، لما شهدته المجتمعات العربية منذ القرن التاسع عشر من تحولات فكرية وثقافية وسياسية أسهمت في إعادة تشكيل الوعي بالذات وبالمجتمع وبالعلاقة مع الآخر. وقد تداخلت في هذه العملية عوامل متعددة، من بينها انتشار التعليم الحديث، واتساع حركة الطباعة والصحافة، ونشاط الترجمة، وظهور الجمعيات الأدبية والعلمية، وإعادة الاهتمام باللغة العربية والتراث العربي، فضلاً عن الاحتكاك المتزايد بالغرب وبالأفكار السياسية الحديثة. ومن داخل هذا السياق التاريخي ظهرت تدريجياً أسئلة جديدة حول الإصلاح والهوية والقومية والاستقلال.

ويأتي جورج أنطونيوس في مقدمة المفكرين الذين حاولوا تقديم تفسير شامل لهذه التحولات، ولا سيما من خلال كتابه المعروف **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، الذي صدر أصله باللغة الإنجليزية سنة 1938، ثم تُرجم إلى العربية بترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ونشرته دار العلم للملايين في طبعات متعددة. وثبتت الفهارس العربية للكتاب أنه أصبح من المراجع الأساسية في موضوع تاريخ القومية العربية.¹

ولا ينظر أنطونيوس إلى النهضة العربية باعتبارها مجرد حركة أدبية أو ثقافية محدودة، بل يربطها بمسار أوسع أدى، في تصوره، إلى تكوين الوعي القومي العربي وانتقاله من المجال الثقافي إلى المجال السياسي. ولذلك اهتم بالجمعيات الأدبية والعلمية، وبنشاط المثقفين، وبإحياء اللغة العربية، ثم تابع تطور هذا الوعي إلى أن وصل إلى مرحلة المطالبة السياسية والتمرد على سياسات الدولة العثمانية، ثم الثورة العربية الكبرى وما ترتب عليها من نتائج. وتتبع أهمية دراسة هذه الأطروحة من أن أنطونيوس لم يكتف بوصف مظاهر النهضة، وإنما قدم لها تفسيراً تاريخياً متكاملًا جعل من النهضة الثقافية أحد المقدمات الأساسية للقومية العربية. وقد أصبحت هذه القراءة لاحقاً موضوعاً للتأييد والنقد معاً، إذ أخذ بها عدد من

¹ جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، بيروت، دار العلم للملايين، 1987، ص 16.

الفصل الثالث: النهضة العربية في فكر جورج انطونيوس

المفكرين والباحثين بدرجات مختلفة، بينما رأى آخرون أنها تميل إلى تبسيط عملية نشوء القومية العربية، وإلى إعطاء النخب الثقافية دوراً أكبر مما تسمح به المعطيات التاريخية والاجتماعية.

وعليه، يتناول هذا الفصل النهضة العربية كما رآها أنطونيوس من خلال بحث العلاقة بين النهضة والقومية، ودور اللغة والثقافة والجمعيات، ثم الوقوف عند الثورة العربية وما ترتب عليها. وينتقل بعد ذلك إلى نقد أطروحاته وتحليل أبعادها الموضوعية، وبيان أثرها في الفكر العربي المعاصر، قبل عرض مواقف عدد من المؤيدين والمعارضين لها، وصولاً إلى تقييم فكره النهضوي من خلال بيان نقاط القوة والضعف والقيمة الفكرية العامة لأطروحاته.

المبحث الأول: النهضة كما رآها أنطونيوس

ينطلق تصور أنطونيوس للنهضة العربية من ملاحظة أساسية تتمثل في أن الوعي العربي الحديث لم يتشكل دفعة واحدة، وإنما نشأ نتيجة تراكمات ثقافية وفكرية وسياسية امتدت على مدى عقود. ولذلك فإنه لا يبدأ تاريخ الحركة القومية العربية من الثورة العربية الكبرى سنة 1916، وإنما يعود بها إلى القرن التاسع عشر، حيث شهدت بلاد الشام بصورة خاصة نشاطاً أدبياً وثقافياً واسعاً.

ويعطي أنطونيوس أهمية خاصة لبيروت وبلاد الشام باعتبارهما من أهم البيئات التي احتضنت النشاط الثقافي العربي الحديث. فقد شهدت هذه المنطقة انتشار المدارس الحديثة، والمطابع، والصحف، والجمعيات الأدبية والعلمية، وبرز فيها عدد من المفكرين والأدباء الذين كان لهم دور في إحياء اللغة العربية وإعادة الاهتمام بالتراث العربي.¹

ويقوم تصوره على وجود علاقة تدرجية بين النهضة الثقافية وبين تشكل الوعي القومي؛ فالنهضة، في نظره، وفرت اللغة والأفكار والأدوات الثقافية التي أصبح من خلالها بالإمكان التفكير في العرب باعتبارهم جماعة ذات تاريخ وثقافة ولغة مشتركة. ثم انتقلت هذه العناصر تدريجياً إلى المجال السياسي عندما بدأت النخب العربية تطالب بالإصلاح واللامركزية والمساواة، ثم تطورت مطالبها لاحقاً نحو الاستقلال والوحدة.

المطلب الأول: العلاقة بين النهضة والقومية

تحتل العلاقة بين النهضة والقومية مكانة مركزية في فكر أنطونيوس؛ إذ يرى أن القومية العربية الحديثة لم تظهر في فراغ، وإنما سبقتها مرحلة من النهضة الثقافية والفكرية. ولذلك فهو يربط بين إحياء اللغة والأدب والتاريخ وبين ظهور نوع جديد من الوعي بالذات العربية.²

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، المرجع السابق، ص 16-30.

² جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 30-32.

ويفترض هذا التصور أن الثقافة تؤدي دورًا تأسيسيًا في تكوين الجماعة القومية؛ فاللغة المشتركة لا تقتصر وظيفتها على التواصل، وإنما تحفظ الذاكرة التاريخية، وتنقل التراث، وتوفر مجالًا للتفاعل بين أفراد الجماعة. ومن ثم فإن إحياء العربية، في سياق النهضة، كان بالنسبة إلى أنطونيوس أكثر من مجرد تطور أدبي، إذ أصبح وسيلة لاستعادة الشعور بالانتماء الثقافي المشترك.¹

وقد ارتبط هذا الإحياء بنشاط مجموعة من الأدباء والمفكرين، من أمثال بطرس البستاني وناصر اليازجي وإبراهيم اليازجي وغيرهم، ممن ساهموا في تطوير اللغة العربية وفي نشر المعرفة الحديثة. ولم تكن أهمية هؤلاء في إنتاجهم الأدبي وحده، وإنما في كونهم أسهموا في تشكيل بيئة ثقافية جديدة أصبح فيها الحديث عن العرب ولغتهم وتاريخهم جزءًا من النقاش العام.²

ويرى أنطونيوس أن التحول من الوعي الثقافي إلى الوعي القومي كان تدريجيًا. فالأفراد الذين بدأوا بإعادة اكتشاف اللغة والتراث لم يكونوا بالضرورة يطالبون منذ البداية بدولة عربية مستقلة، ولكن نشاطهم أسهم في توفير المقومات الفكرية التي أمكن أن تتطور في اتجاه قومي سياسي. وهذا التمييز مهم في فهم أطروحته، لأنه لا يساوي بصورة مباشرة بين النهضة الأدبية والقومية السياسية، وإنما يقدم الأولى باعتبارها أرضية مهدت للثانية.³

ويتضح هذا التصور بصورة أكبر عندما يتناول أنطونيوس التحولات التي عرفت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر. فقد أدى الإصلاح العثماني، وما رافقه من توسع في التعليم

¹ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص 15-22.

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، 1968، ص 93-111.

³ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 30-40.

الفصل الثالث: النهضة العربية في فكر جورج أنطونيوس

والإدارة والصحافة، إلى خلق فضاء جديد للنقاش حول الحقوق والمواطنة والإصلاح. وفي هذا الفضاء بدأت النخب العربية تنتظر بصورة مختلفة إلى موقع العرب داخل الدولة العثمانية.¹ ومن هنا ظهرت مرحلة وسطى بين الانتماء العثماني والقومية العربية، تمثلت في المطالبة بالإصلاح واللامركزية وتعزيز مكانة اللغة العربية في الإدارة والتعليم. ولذلك فإن تطور القومية العربية، وفقاً لهذا التصور، لم يكن في بدايته دعوة مباشرة إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، بل بدأ في إطار المطالبة بالمساواة والإصلاح، ثم تحول تدريجياً بفعل التطورات السياسية إلى مطالب قومية أكثر وضوحاً.²

ويؤكد عبد العزيز الدوري، في دراسته لجذور القومية العربية، أهمية التمييز بين الوعي العربي القديم والوعي القومي الحديث؛ فوجود اعتزاز بالعروبة أو باللغة العربية في الفترات السابقة لا يعني بالضرورة وجود قومية حديثة بالمعنى السياسي. وإنما ينبغي البحث عن اللحظة التي أصبح فيها هذا الوعي عنصراً من عناصر مشروع سياسي واجتماعي جديد.³ ومن هذه الزاوية يمكن فهم إحدى أهم خصائص أطروحة أنطونيوس؛ فهو يربط بين النهضة بوصفها تحولاً ثقافياً والقومية بوصفها تحولاً في الوعي السياسي. إلا أن العلاقة بينهما ليست علاقة تطابق، بل علاقة تفاعل وتطور.

ويلاحظ كذلك أن أنطونيوس لم يجعل الدين أساساً وحيداً للانتماء العربي، وإنما أعطى اللغة والثقافة والتاريخ المشترك أهمية كبيرة. وقد ساعد ذلك على بناء تصور للعروبة يمكن أن يستوعب العرب المسلمين والمسيحيين على السواء. وهذه المسألة ذات أهمية خاصة في سياق النهضة العربية، لأن عدداً من روادها كانوا من المسيحيين العرب، الذين شاركوا في النشاط الثقافي والقومي، وأسهموا في إعادة إحياء اللغة والأدب العربيين.⁴

¹ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 51-74.

² عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مرجع سابق، ص 105-118.

³ نفسه، ص 9-15.

⁴ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 109-119.

وبذلك تصبح القومية في تصور أنطونيوس نتيجة لمسار طويل يبدأ بإعادة اكتشاف الثقافة، ثم يتطور إلى إدراك المصالح المشتركة، ثم إلى المطالبة السياسية. وهو تصور يفسر أهمية النهضة في تاريخ القومية العربية، لكنه في الوقت نفسه يفتح المجال أمام التساؤل عن مدى قدرة الثقافة وحدها على تفسير التحولات السياسية والاجتماعية الكبرى.

المطلب الثاني: دور اللغة والثقافة والجمعيات

تمثل اللغة والثقافة والجمعيات أهم الأدوات التي اعتمد عليها أنطونيوس في تفسير نشوء النهضة العربية. فهذه العناصر لم تكن بالنسبة إليه مظاهر منفصلة، وإنما كانت حلقات مترابطة في عملية تكوين الوعي الحديث.

أولاً: اللغة العربية

احتلت اللغة العربية موقعاً أساسياً في عملية النهضة؛ لأنها كانت وعاءً للتراث ووسيلة للاتصال بين مختلف المناطق العربية. وقد ساعد الاهتمام بها على إعادة اكتشاف الأدب العربي القديم، وعلى تطوير أساليب الكتابة والتأليف، وعلى انتشار الصحافة والمطبوعات. ومن أبرز مظاهر ذلك النشاط اللغوي والأدبي ما قام به عدد من أدباء بلاد الشام في القرن التاسع عشر، حيث عملوا على تنقية اللغة وتطوير استعمالاتها وإعادة إحياء الأدب العربي. وكان إبراهيم اليازجي من أبرز الأسماء المرتبطة بهذا الاتجاه، كما ارتبط اسمه بخطاب النهضة والدعوة إلى اليقظة العربية.¹

ولا ينبغي النظر إلى اللغة هنا باعتبارها عنصراً ثقافياً محضاً؛ فقد أصبحت في سياق التنافس بين المركز العثماني والنخب العربية وسيلة للمطالبة بإعادة الاعتبار إلى الشخصية العربية. وعندما بدأت الجمعيات والنخب بالمطالبة باستخدام العربية في التعليم والإدارة، أخذت اللغة تتحول من عنصر ثقافي إلى عنصر من عناصر المطالبة السياسية.²

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 111-119.

² عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مرجع سابق، ص 118-130.

ويؤكد عبد العزيز الدوري أن تطور الوعي العربي ارتبط بعوامل متعددة، من بينها الاعتزاز بالعربية والثقافة والتاريخ، وأن هذا الوعي لم ينتقل مباشرة إلى مستوى سياسي شامل، وإنما توسع تدريجيًا من المجال الثقافي إلى المجال العام.¹

ثانيًا: الثقافة والتعليم

أسهم التعليم الحديث في توسيع دائرة النهضة، إذ أتاح ظهور فئة جديدة من المتعلمين القادرين على الاتصال بالثقافة العربية والغربية في الوقت نفسه. وقد ساهمت المدارس الحديثة، والمطابع، وحركة الترجمة، والصحافة في تشكيل فضاء فكري جديد.

ويشير حوراني إلى أن القرن التاسع عشر شهد تغيرًا عميقًا في طريقة تفكير المفكرين العرب، نتيجة احتكاكهم المتزايد بأوروبا وبالأفكار الحديثة المتعلقة بالتقدم والإصلاح والدولة والمجتمع.²

ولم يكن هذا الاحتكاك مجرد عملية نقل للأفكار الغربية، وإنما أدى إلى طرح سؤال النهضة ذاته: لماذا تقدمت أوروبا؟ ولماذا تأخر العرب؟ وما الذي ينبغي فعله لإصلاح المجتمع؟ وهي أسئلة أصبحت لاحقًا أساسًا لتيارات فكرية مختلفة، بعضها اتجه إلى الإصلاح الديني، وبعضها إلى الليبرالية، وبعضها إلى القومية العربية.³

وقد ساعدت الصحافة العربية على تحويل هذه الأسئلة من نقاشات محدودة بين النخب إلى قضايا عامة. فالصحيفة كانت وسيلة لنشر المقالات والأفكار والأخبار، ومجالًا للنقاش حول الإصلاح واللغة والتعليم والسياسة. وهكذا أصبح المجال الثقافي أكثر ارتباطًا بالمجال الاجتماعي والسياسي.⁴

¹ نفسه، ص 91-104.

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 39-50.

³ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 75.

⁴ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 120-135.

ثالثاً: الجمعيات

أعطى أنطونيوس أهمية خاصة للجمعيات الأدبية والفكرية التي ظهرت في بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر، واعتبرها من المقدمات المبكرة للحركة القومية. ويذكر في سياق حديثه عن بدايات الحركة الثقافية جمعية أدبية تأسست في بيروت سنة 1847، وهو ما يكشف عن المكانة التي منحها للمؤسسات الثقافية في تفسير نشوء الوعي العربي الحديث.¹

وقد وفرت هذه الجمعيات فضاءً لتبادل الأفكار، وتنظيم النشاط الثقافي، وتشجيع الأدب، ومناقشة قضايا المجتمع. كما سمحت للنخب المتعلمة بالتفاعل بصورة جماعية بدل الاقتصار على النشاط الفردي. ومن ثم يمكن اعتبارها مؤسسات اجتماعية ساعدت على تحويل الأفكار من مستوى الأفراد إلى مستوى الجماعة.²

ومع تطور النشاط السياسي في أواخر العهد العثماني، ظهرت جمعيات أكثر ارتباطاً بالمطالب العربية. ومن بينها الجمعية العربية الفتاة، والجمعية القحطانية، وغيرها من التنظيمات التي اختلفت في أهدافها ودرجة سريتها ومواقفها من الدولة العثمانية. ويعرض أنطونيوس هذه الجمعيات في سياق تطور الحركة العربية من المطالب الثقافية إلى المطالب السياسية.³

وقد طرحت الجمعية القحطانية، مثلاً، تصوراً يقوم على إعادة تنظيم الدولة العثمانية بحيث تحصل الولايات العربية على قدر من الحكم المحلي، مع إعطاء اللغة العربية مكانة في المؤسسات العربية. وهذا يكشف عن أن القومية العربية في بعض مراحلها الأولى لم تكن بالضرورة انفصالية، وإنما كانت تسعى إلى إعادة تنظيم الدولة على أساس أكثر عدلاً بالنسبة إلى العرب.⁴

¹ نفسه، ص 16.

² عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مرجع سابق، ص 135-147.

³ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 146-150.

⁴ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 149-150.

ومن ثم، فإن أهمية الجمعيات في فكر أنطونيوس تكمن في أنها مثلت حلقة وصل بين الثقافة والسياسة؛ إذ بدأت في أجواء أدبية وفكرية، ثم تحولت بعض أنشطتها إلى المطالبة بالإصلاح والحقوق السياسية.

المطلب الثالث: الثورة وما ترتب عليها

تمثل الثورة العربية الكبرى سنة 1916 نقطة تحول أساسية في سردية أنطونيوس؛ لأنها شكلت، في تصوره، انتقال الحركة العربية إلى مرحلة الفعل السياسي والعسكري المباشر. فقد أدى اشتداد التوتر بين العرب والاتحاديين، وخاصة بعد سياسة التمرکز الإداري والتشدد السياسي التي ارتبطت بجمعية الاتحاد والترقي، إلى تعميق الشعور لدى قطاعات من النخب العربية بضرورة إعادة النظر في العلاقة بين العرب والدولة العثمانية.¹ ويضع أنطونيوس الثورة في إطار أوسع من مجرد التمرد العسكري؛ فهو يربطها بتاريخ طويل من النشاط العربي، ويرى أن الحرب العالمية الأولى وفرت الظرف الذي انتقلت فيه المطالب العربية إلى مرحلة العمل المسلح.²

وقد ارتبطت الثورة العربية بمراسلات الشريف حسين بن علي مع المندوب البريطاني في مصر هنري مكماهون، وهي المراسلات التي أصبحت لاحقاً من أكثر الوثائق إثارة للجدل في تاريخ العلاقات العربية البريطانية. وقد ناقش أنطونيوس هذه المراسلات بصورة واسعة، وربط بينها وبين الالتزامات التي رأى أن بريطانيا قدمتها للعرب مقابل مشاركتهم في الحرب ضد الدولة العثمانية.³

¹ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مرجع سابق، ص 207

² جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 251

³ نفسه، ص 282-283.

وتحتل هذه المسألة مساحة مهمة في كتاب أنطونيوس، وقد أحالت دراسات عربية لاحقة إلى الصفحات التي تناول فيها هذه الوثائق والمراسلات، كما تناولت الصفحات 251-275 من الكتاب تطورات الثورة والقضية العربية بصورة مباشرة.¹

ويرى أنطونيوس أن العرب دخلوا الحرب اعتماداً على وعود بريطانية تتعلق بالاستقلال، وأن ما حدث بعد الحرب، وخاصة اتفاقية سايكس-بيكو ووعد بلفور ونظام الانتداب، أدى إلى تعارض بين الوعود التي فهمها العرب وبين التسوية السياسية التي فرضتها القوى المنتصرة.² ومن الناحية السياسية، أدى فشل مشروع الدولة العربية الموحدة بعد الحرب إلى إعادة تشكيل الخريطة السياسية للمشرق العربي، حيث خضعت مناطق واسعة للانتدابين الفرنسي والبريطاني. وقد شكل ذلك بالنسبة إلى أنطونيوس عنصراً أساسياً في تفسير الإحباط العربي في مرحلة ما بعد الحرب.

غير أن تحليل الثورة يتطلب عدم اختزال دوافع المشاركين فيها في العامل القومي وحده؛ فقد تداخلت الاعتبارات الهاشمية والمحلية والعسكرية والدينية والسياسية مع المطالب القومية. وهذا ما يجعل الثورة ظاهرة مركبة لا يمكن تفسيرها بعامل واحد.

وعلى الرغم من ذلك، فإن قيمتها في فكر أنطونيوس واضحة؛ فهي تمثل اللحظة التي خرجت فيها القضية العربية من المجال الثقافي والنخبوي إلى المجال العسكري والسياسي الدولي. ولهذا أصبحت الثورة في روايته خاتمة لمسار النهضة وبداية لمرحلة جديدة من الصراع حول مستقبل المنطقة العربية.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 251

² نفسه، ص 324

المبحث الثاني: نقد وتحليل أطروحته

إن دراسة أطروحة أنطونيوس لا تكتمل بعرضها، وإنما تستوجب تحليل الأسس التي قامت عليها ومقارنتها بالاتجاهات الفكرية والتاريخية التي ظهرت لاحقاً. فقد ظل كتاب «يقظة العرب» حاضراً في النقاش حول أصول القومية العربية، سواء باعتباره عملاً تأسيسياً أو باعتباره نموذجاً يحتاج إلى مراجعة.

المطلب الأول: البعد الموضوعي والانتقادات العربية الغربية

أولاً: البعد الموضوعي

يظهر أنطونيوس في كتابه باعتباره باحثاً يحاول بناء رواية تاريخية تستند إلى الوثائق والمراسلات والشهادات، إلا أن موقعه الشخصي من القضية العربية يجعل مسألة الموضوعية محل نقاش.

فقد كان أنطونيوس نفسه منخرطاً في الشأن العربي، ولا سيما في القضية الفلسطينية، الأمر الذي يجعل كتابه جزءاً من السياق الفكري والسياسي الذي كانت تعيشه المنطقة في النصف الأول من القرن العشرين. ومن ثم فإن الكتاب لا يمكن فصله بصورة كاملة عن ظروف إنتاجه.

ولا يعني ذلك بالضرورة إسقاط قيمته العلمية، وإنما يستوجب التمييز بين المادة التاريخية التي جمعها، وبين التفسير الذي قدمه لهذه المادة. فوجود وثائق أصلية لا يمنع المؤرخ من أن يختار منها ما يخدم بناء أطروحته، أو أن يعطيها تفسيراً معيناً.

وتتضح هذه المسألة بصورة خاصة في معالجته للعلاقة بين بريطانيا والعرب أثناء الحرب العالمية الأولى. فقد أولى أنطونيوس أهمية كبيرة للمراسلات بين الشريف حسين ومكماهون، وللاتفاقات السرية بين القوى الأوروبية، وللوعود البريطاني المتعلق بفلسطين.¹

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، ص 282

ثانيًا: الانتقادات العربية

ركز النقد العربي لأطروحة أنطونيوس على مجموعة من القضايا، من أهمها أنه أعطى دورًا كبيرًا للنخب المثقفة والجمعيات في تفسير نشوء القومية العربية، بينما كانت العملية التاريخية أوسع من ذلك.

فقد أكد عبد العزيز الدوري أن جذور القومية العربية ينبغي أن تُدرس من خلال نمو الوعي العربي عبر مراحل متعددة، وأن الوعي القومي الحديث لم يكن مجرد استيراد لنموذج أوروبي، كما لا يمكن اختزاله في نشاط عدد محدود من المثقفين.¹

كما أن قراءة حوراني لتاريخ الفكر العربي تكشف عن تعدد الاتجاهات الفكرية التي أسهمت في تشكيل الوعي الحديث؛ فقد تداخل الإصلاح الديني، والليبرالية، والعلمانية، والقومية، والإسلامية في بيئة فكرية واحدة، ولم تكن الحدود بينها واضحة دائمًا.²

ومن هنا يمكن القول إن أحد أهم حدود أطروحة أنطونيوس يتمثل في ميلها إلى بناء خط تاريخي متصل: النهضة ثم القومية ثم الثورة. بينما تكشف الدراسات الفكرية والاجتماعية أن هذه المراحل كانت متداخلة ومتعارضة أحيانًا.

ثالثًا: الانتقادات الغربية

أما القراءات الغربية التي نقلت إلى العربية، فقد ركز بعضها على إشكالية إسقاط المفاهيم القومية الحديثة على مراحل تاريخية لم تكن فيها الهوية القومية قد اكتملت. ويبرز في هذا السياق برنارد لويس، الذي تناول نشوء القوميات في الدولة العثمانية ضمن سياق أوسع يتصل بالإصلاح العثماني والاحتكاك الأوروبي والتحولات السياسية.³

¹ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 9

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص 343

³ برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، ترجمة نبيل صبحي، بيروت، دار العلم للملايين، ص 120-121.

وقد ركزت دراسات أخرى على ضرورة التمييز بين «العروبة الثقافية» و«القومية العربية السياسية». فوجود اللغة العربية والثقافة المشتركة لا يعني بالضرورة أن جميع العرب كانوا يتبنون مشروعًا سياسيًا موحدًا.¹

كما أن القومية العربية لم تكن الحركة الوحيدة الموجودة في المنطقة؛ فقد تزامنت معها اتجاهات عثمانية وإسلامية ومحلية وإقليمية، وهو ما يجعل عملية التحول إلى القومية العربية أكثر تعقيدًا مما قد توحى به القراءة الخطية.

المطلب الثاني: أثره الفكري في الفكر العربي المعاصر

ترك أنطونيوس أثرًا واضحًا في الكتابات المتعلقة بالقومية العربية والنهضة الحديثة. فقد أصبحت «يقظة العرب» مرجعًا أساسيًا للباحثين في هذا المجال، سواء قبلوا تفسيره أو اختلفوا معه.

ويتمثل أحد أهم مظاهر تأثيره في أنه جعل العلاقة بين النهضة والقومية موضوعًا مركزيًا للبحث. فقد فتح المجال أمام التساؤل حول الدور الذي أدته اللغة والأدب والتعليم والجمعيات في بناء الوعي العربي.

وفي هذا السياق يبرز ساطع الحصري الذي جعل اللغة والتاريخ محورين أساسيين في تفسير القومية. فقد رأى أن الأمة لا تقوم فقط على المصالح السياسية الآنية، وإنما تتشكل من خلال عناصر ثقافية وتاريخية مشتركة.²

وهنا يظهر تقاطع واضح بين أنطونيوس والحصري؛ فكلاهما يعطي الثقافة واللغة دورًا مهمًا في بناء الوعي القومي، وإن كان الحصري أكثر ميلًا إلى بناء نظرية قومية واضحة ومتكاملة، بينما يقدم أنطونيوس معالجة تاريخية لمسار تشكل الحركة العربية.

¹ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 225-240

² ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 25

أما قسطنطين زريق فقد نقل النقاش حول النهضة إلى مستوى آخر، فركز على ضرورة بناء الإنسان العربي القادر على التعامل مع العلم والعقل والتطور الحضاري. وقد جعل من النهضة مشروعًا حضاريًا شاملاً لا يقتصر على إحياء الماضي.¹

وهذا يعني أن أثر أنطونيوس لا يتمثل فقط في عدد من تبناوا تفسيره بصورة مباشرة، وإنما أيضًا في أنه أسهم في تكوين المجال الفكري الذي أصبحت فيه النهضة والقومية موضوعين أساسيين في الفكر العربي الحديث.

أما ألبرت حوراني، فقد اتخذ موقفًا أكثر تحليلية؛ إذ اهتم بتفسير تطور الفكر العربي في عصر النهضة من خلال تتبع تيارات متعددة، ولم يحصر المسألة في القومية العربية وحدها. وتؤكد الطبقات العربية من كتابه أن الفصل الخاص بالقومية العربية يأتي ضمن سياق أوسع يضم الدولة الإسلامية والإمبراطورية العثمانية والإصلاح والتفاعل مع أوروبا والتيارات العلمانية.²

ومن ثم يمكن القول إن أثر أنطونيوس في الفكر العربي المعاصر ظهر في اتجاهين: اتجاه استفاد من ربطه بين الثقافة والقومية، واتجاه نقد هذا الربط وسعى إلى توسيعه من خلال إدخال العوامل الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية.

¹ قسطنطين زريق، معنى النكبة، بيروت، دار العلم للملايين، ص 15

² ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص 343

المبحث الثالث: المؤيدون والمعارضون للفكر النهضةي لأنطونيوس

أثارت أطروحة أنطونيوس نقاشًا واسعًا بين المفكرين العرب والباحثين في تاريخ القومية العربية. ويمكن ملاحظة وجود اتجاهات فكرية تقاطعت مع بعض عناصر أطروحته، وأخرى قدمت تفسيرات مغايرة لها.

المطلب الأول: المؤيدون: ساطع الحصري، قسطنطين زريق، الحوراني

أولاً: ساطع الحصري

يعد ساطع الحصري من أبرز المفكرين العرب الذين تتقاطع آراؤهم مع بعض المرتكزات الثقافية في فكر أنطونيوس، ولا سيما ما يتعلق باللغة والتاريخ والوعي القومي. فقد أكد الحصري أن اللغة والتاريخ يمثلان عنصرين أساسيين في تكوين الأمة، وأن الوعي القومي ينمو من خلال الشعور بالاشتراك في لغة وثقافة وذاكرة تاريخية.¹ وهذا التقاطع لا يعني التطابق بين الرجلين؛ فالحصري قدم نظرية أكثر وضوحًا في القومية العربية، في حين كان أنطونيوس أقرب إلى المؤرخ الذي يتتبع مسار الحركة العربية. كما أن الحصري جعل المدرسة والتعليم أداة رئيسية في تكوين الشعور القومي، وهو ما يتوافق مع المكانة التي أعطاها أنطونيوس للتعليم والثقافة في مرحلة النهضة.²

ثانياً: قسطنطين زريق

يتقاطع زريق مع أنطونيوس في النظر إلى النهضة باعتبارها مشروعًا يتجاوز حدود الأدب والثقافة. فالنهضة عند زريق ترتبط بإعادة بناء الإنسان والمجتمع العربي على أساس العلم والعقل والتنظيم.

وقد أكد في كتاباته أن الأمة العربية بحاجة إلى وعي تاريخي وحضاري يمكنها من فهم أسباب الضعف ومعالجة مظاهر التخلف.³

¹ ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 55-75.

² ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية، ص 75

³ قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ص 25

ومن هنا فإن العلاقة بين فكر زريق وأنطونيوس تظهر في إدراكهما أن النهضة لا تكون مكتملة إذا بقيت في حدود الثقافة، بل ينبغي أن تتحول إلى قوة قادرة على إعادة بناء المجتمع. غير أن زريق أعطى للجانب الحضاري والعقلي أهمية أكبر، بينما ركز أنطونيوس بصورة أوضح على تشكل الوعي القومي والتطور السياسي.

ثالثاً: ألبرت حوراني

يمثل ألبرت حوراني موقفاً أكثر تركيباً من فكرة «التأييد»؛ إذ إن كتاباته لم تكن مجرد تكرار لأطروحة أنطونيوس، وإنما استفادت من الأسئلة التي طرحها وأعدت وضعها ضمن إطار أوسع.

فقد تناول حوراني الفكر العربي في عصر النهضة باعتباره مجاًلاً تتفاعل فيه تيارات متعددة، من الإصلاح الديني إلى الليبرالية والعلمانية والقومية.¹

وتظهر أهمية موقفه في أنه لم يرفض أنطونيوس رفضاً كلياً، ولم يقبله قبولاً مطلقاً، وإنما قدم قراءة تاريخية أوسع تساعد على فهم السياق الذي ظهرت فيه القومية العربية. ومن هنا يمكن اعتبار حوراني من الباحثين الذين أسهموا في استمرار الحوار مع أطروحة أنطونيوس، وإن لم يكن من السليم وضعه في خانة المؤيدين المطلقين لها.

المطلب الثاني: المعارضون: برنارد لويس، ...

يأتي برنارد لويس في مقدمة الباحثين الذين قدموا تفسيراً مختلفاً لعدد من القضايا التي تناولها أنطونيوس، وخاصة فيما يتعلق بالقومية العربية وعلاقتها بالدولة العثمانية والغرب. فقد ركز لويس على السياق العثماني والإصلاحات السياسية والفكرية، وعلى أثر الاتصال بالغرب في نشوء المفاهيم السياسية الحديثة. ومن هذا المنظور يصبح ظهور القومية العربية

¹ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص 343

نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، وليس مجرد امتداد مباشر للنهضة الأدبية.¹

ويختلف هذا التصور عن أنطونيوس في درجة الأهمية التي يمنحها للعوامل السياسية والمؤسسية؛ إذ لا يكفي وجود لغة وثقافة مشتركة لتفسير ظهور القومية السياسية، بل ينبغي النظر إلى ظروف الدولة والسلطة والإدارة والتعليم والاتصال بالغرب.

كما أن نقد أطروحة أنطونيوس ارتبط بالتساؤل حول مدى انتشار القومية العربية في المجتمع. فقد ركز أنطونيوس بصورة كبيرة على النخب، بينما أظهرت الدراسات اللاحقة أن الوعي القومي لم يكن متساوياً في مختلف الفئات والمناطق.²

ومن بين الاتجاهات النقدية أيضاً التأكيد على أن التحول من العثمانية إلى القومية العربية لم يكن حتمياً؛ فقد كان هناك أفراد وجماعات تبنت العثمانية أو الإسلامية أو المحلية، وظلت هذه الاتجاهات حاضرة حتى خلال السنوات التي شهدت صعود القومية العربية.

ويترتب على ذلك أن أطروحة أنطونيوس ينبغي أن تُقرأ باعتبارها إحدى الروايات التفسيرية المهمة لنشوء القومية العربية، لا باعتبارها الرواية الوحيدة الممكنة.

¹ برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، ص 120-121.

² عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 225

المبحث الرابع: تقييم فكر النهضة

يقتضي التقييم العلمي لفكر أنطونيوس الجمع بين عناصر القوة والحدود المنهجية، وعدم النظر إلى الكتاب باعتباره عملاً خاليًا من الإشكالات أو باعتباره غير ذي قيمة بسبب بعض جوانب القصور.

المطلب الأول: نقاط القوة

يمكن تحديد أهم نقاط القوة في الفكر النهضوي لأنطونيوس في مجموعة من العناصر. أولاً، أنه قدم رؤية مترابطة لتطور النهضة والقومية؛ فلم يتعامل مع الأحداث منفصلة، بل حاول الكشف عن الصلات بين الأدب والتعليم واللغة والجمعيات والسياسة.¹ ثانياً، أنه أبرز أهمية اللغة العربية باعتبارها عنصراً أساسياً من عناصر الوعي العربي. وهذه الفكرة تكتسب أهمية خاصة بالنظر إلى أن إحياء اللغة كان من أهم مظاهر النهضة العربية.²

ثالثاً، اهتم أنطونيوس بدور المؤسسات والجمعيات في تحويل الأفكار من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي. وهذا جانب مهم لأن الحركة الفكرية لا تتشكل فقط من أفكار الأفراد، وإنما تحتاج إلى مؤسسات ووسائل لنشرها.

رابعاً، استفاد من الوثائق والمراسلات السياسية، وخاصة في دراسته للمرحلة الممتدة بين الحرب العالمية الأولى والثورة العربية وما بعدها. وقد احتفظت أطروحته بأهمية خاصة في هذا المجال بسبب اهتمامه بالمراسلات العربية البريطانية.³ خامساً، تمكن من إبراز العلاقة بين الثقافة والسياسة، وهي علاقة ظلت أساسية في تفسير نشوء القومية العربية.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 30

² نفسه، ص 109

³ نفسه، ص 251

سادساً، قدم تصورًا للعروبة يتجاوز الانقسام الديني، وهو ما يظهر في الدور الذي منحه للمثقفين المسيحيين العرب في النهضة وفي تطور الخطاب القومي.¹

سابعاً، امتلكت أطروحته قدرة كبيرة على التأثير؛ فقد أصبح كتاب «يقظة العرب» من الأعمال المرجعية التي انطلقت منها نقاشات لاحقة حول تاريخ القومية العربية، وظلت الدراسات العربية تشير إليه وتناقشه.²

المطلب الثاني: نقاط الضعف

على الرغم من هذه الإيجابيات، فإن أطروحة أنطونيوس تعاني من عدد من نقاط الضعف.

أولها الميل إلى التفسير الخطي؛ إذ يبدو أحياناً أن التاريخ يتحرك من النهضة إلى القومية ثم الثورة بصورة متصلة، في حين أن الواقع كان أكثر تعقيداً وتعددًا.³

ثانيها المبالغة في دور النخب؛ فقد كان المثقفون والجمعيات جزءاً مهماً من الحركة، لكنهم لم يكونوا العامل الوحيد في نشوء القومية.

ثالثها عدم الفصل الدائم بين العروبة الثقافية والقومية السياسية؛ فوجود لغة وثقافة مشتركة لا يعني بالضرورة وجود مشروع سياسي قومي موحد.

رابعها تأثر الرواية بالسياق السياسي الذي كتب فيه أنطونيوس؛ فقد كان الكتاب مرتبطاً إلى حد كبير بالسجال حول مستقبل المشرق العربي والقضية الفلسطينية.

خامسها إعطاء الثورة العربية موقعاً حاسماً في تطور القومية، مع أن دوافع الثورة كانت متعددة، ولم تكن جميع القوى المشاركة فيها تتحرك وفق تصور قومي عربي واحد.⁴

سادسها التركيز الجغرافي النسبي على بلاد الشام والمشرق، وهو ما يجعل تعميم النتائج على جميع الأقطار العربية يحتاج إلى قدر من الحذر.

¹ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 109.

² محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق يسبر غور أنطونيوس وكتابه يقظة العرب، ص 111.

³ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 9.

⁴ أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى: النضال بين العرب والترك، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج 1، ص 126.

سابعها أن بعض مظاهر النهضة التي قدمها باعتبارها مقدمات للقومية كانت في الأصل مرتبطة بالإصلاح الثقافي أو الديني أو التعليمي، ولم تكن تحمل بالضرورة مشروعًا قوميًا سياسيًا واضحًا.

ومن هنا ينبغي عدم قراءة كتاب أنطونيوس بوصفه سجلًا محايدًا للأحداث، وإنما بوصفه تفسيرًا تاريخيًا وفكريًا تشكل في سياق محدد.

المطلب الثالث: القيمة الفكرية

تكمن القيمة الفكرية الأساسية لأطروحة جورج أنطونيوس في أنها نقلت النقاش حول النهضة العربية من مستوى الوصف إلى مستوى التفسير. فقد حاول الإجابة عن سؤال جوهري يتمثل في كيفية تحول الثقافة العربية إلى وعي قومي ثم إلى حركة سياسية.

وقد أسهم هذا السؤال في فتح مجال واسع للبحث حول العلاقة بين اللغة والهوية، وبين الثقافة والقومية، وبين التعليم والإصلاح، وبين النخبة والمجتمع، وبين الوعي القومي والممارسة السياسية.

وتتمثل قيمة أنطونيوس كذلك في أنه قدم مادة تاريخية ووثائقية واسعة عن مرحلة مهمة من تاريخ المشرق العربي، وخاصة المرحلة السابقة للحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها. وقد ساعد ذلك الباحثين اللاحقين، سواء الذين استفادوا من استنتاجاته أو الذين خالفوها، على تطوير البحث في القومية العربية.

كما أن القيمة الفكرية لأطروحته لا تتوقف عند صحة جميع استنتاجاته؛ فالأعمال التاريخية الكبرى قد تظل مؤثرة حتى عندما تصبح بعض أطروحاتها محل مراجعة. وهذا ينطبق على «يقظة العرب»، إذ ظل الكتاب حاضرًا في الدراسات العربية المتعلقة بالقومية والنهضة، وظهرت بعده أعمال كثيرة تسعى إلى إعادة تفسير جذور الوعي العربي.¹

¹ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص 343

وفي هذا السياق، يمثل عبد العزيز الدوري نموذجًا مهمًا لإعادة دراسة جذور القومية العربية من منظور تاريخي أوسع، إذ سعى إلى تتبع تطور الوعي العربي ومقوماته والقوى التي أسهمت في تشكيله، بذل الاقتصار على سرد تاريخ الحركة السياسية.¹

كما يمثل حوراني نموذجًا آخر لتوسيع مجال الدراسة، من خلال وضع القومية ضمن سياق الفكر العربي الحديث كله، وربطها بالإصلاح الديني والليبرالية والعلمانية والتفاعل مع أوروبا.²

أما الحصري، فقد طور جانبًا من المسألة المتعلقة باللغة والتاريخ إلى نظرية أكثر وضوحًا في القومية العربية، في حين نقل زريق فكرة النهضة إلى مجال المشروع الحضاري والعقلي. وعليه، يمكن القول إن القيمة الفكرية لأنطونيوس لا تكمن في كونه قدم التفسير النهائي للنهضة والقومية العربية، وإنما في كونه وضع إطارًا تفسيريًا مبكرًا واسع التأثير، أجبر الدراسات اللاحقة على الدخول في حوار معه، سواء بالتأييد أو التعديل أو النقد.

¹ عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 9-

² لبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص 343

الفصل الثالث: النهضة العربية في فكر جورج أنطونيوس

خلصت دراسة النهضة العربية في فكر جورج أنطونيوس إلى أن النهضة احتلت موقعاً أساسياً في تفسيره لنشوء القومية العربية؛ فقد نظر إليها باعتبارها مساراً تاريخياً متدرجاً بدأ بإحياء اللغة والأدب والثقافة، وتوسع من خلال التعليم والصحافة والجمعيات، ثم انتقل تدريجياً إلى المجال السياسي، حيث أصبحت المطالب العربية أكثر وضوحاً، وانتهت إلى الثورة العربية الكبرى سنة 1916.

وقد تبين أن اللغة العربية كانت من أهم العناصر التي اعتمد عليها أنطونيوس في تفسير تشكل الوعي العربي؛ فهي، إلى جانب التاريخ والثقافة المشتركة، أسهمت في تكوين تصور أوسع للانتماء العربي. كما أدى التعليم والصحافة والجمعيات دوراً مهماً في نشر الأفكار الجديدة وتحويلها من نشاط فردي إلى حركة جماعية.

وأظهرت الدراسة كذلك أن الثورة العربية الكبرى شكلت، في تصور أنطونيوس، نقطة تحول بين المرحلة الثقافية والمرحلة السياسية، غير أن تحليلها يقتضي مراعاة تعدد دوافعها وعدم اختزالها في العامل القومي وحده.

أما على مستوى النقد، فقد تبين أن أطروحة أنطونيوس تمتلك قيمة تاريخية وفكرية كبيرة، لكنها لا تخلو من حدود، أبرزها الميل إلى تقديم تطور القومية العربية في صورة مسار خطي، والتركيز الكبير على النخب والجمعيات، وعدم الفصل بصورة دائمة بين العروبة الثقافية والقومية السياسية، فضلاً عن تأثر الكتاب بالسياق السياسي الذي كتب فيه.

كما تبين أن تأثير أنطونيوس في الفكر العربي لم يكن محدوداً بالمفكرين الذين اتفقوا معه؛ فقد أصبح مرجعاً حتى لدى الذين خالفوه، وساهم بصورة غير مباشرة في دفع الباحثين إلى إعادة النظر في جذور القومية العربية. ويظهر ذلك عند عبد العزيز الدوري في دراسته لجذور الوعي العربي، وعند ألبرت حوراني في تحليله للفكر العربي في عصر النهضة، وعند ساطع الحصري في تنظيره للعلاقة بين اللغة والتاريخ والقومية، وعند قسطنطين زريق في طرحه لمفهوم النهضة بوصفها مشروعاً حضارياً.

وبناءً على ذلك، فإن القيمة الفكرية لأنطونيوس تتمثل أساساً في تأسيسه لسردية تاريخية تربط بين النهضة الثقافية والقومية العربية والحركة السياسية، وفي إثارة مجموعة من الأسئلة التي ظلت حاضرة في الدراسات اللاحقة. ولذلك فإن القراءة العلمية لأطروحاته لا تقتضي قبولها بصورة مطلقة أو رفضها بصورة كلية، وإنما تقتضي وضعها في سياقها التاريخي، والاستفادة من مادتها الوثائقية، ومقارنتها بالتفسيرات العربية اللاحقة التي كشفت عن تعدد العوامل التي أسهمت في نشوء الوعي القومي العربي.

الخاتمة

الخاتمة:

يعتبر القرن الـ 19م حتى مطلع القرن الـ 20م قرن الانفجار الفكري في العالم العربي والإسلامي من خلال بروز نفر من العلماء والمفكرين الذين عاشوا المرارة وشهود عيان على التحولات والتوازنات التي شهدتها العالم وكانوا فاعلين في إتساع الفجوة التي كانت الفاصل في صدام الحداثة . ومن خلال دراستنا لموضوع القومية في الفكر العربي يمكن رصد وتتبع أهم النتائج التالية:

- أن العالم العربي على إختلاف مكوناته وإيديولوجياته وجغرافية أرضه يملك كل المقومات التي يركز إليها للمحافظة على الموروث ومن بينه إرساء القواعد القومية لبناء شخصية الأمة والسهر على قضاياها.
- والنهضة العربية تعتبر عملية الرجوع إلى المبادئ التي تحدد أسس الهوية ولا يتأتى ذلك إلى بإيقاظ الشعور العربي وتشكيل رابطة تسمى بمصطلح القومية وفق فكر يعتمد على إيديولوجية وعقيدة ومنهج
- تتحقق الإستفاقة العربية بإيقاظ الشعور والإحساس وطبيعة الحال بإختيار الوسائل المختارة لكي تحقق الغاية
- ونستنتج بأن إسهام الرواد بإختلاف تياراتهم إستطاعوا أن يشخصو المرض لمعايشتهم للواقع وإحتكاكهم بالحداثة الغربية وإن إختلفوا في الفروع إلا أنهم حافظوا على الأصول.

ونصل من خلال قراءتنا لكتاب اليقظة لأنطونيوس أنه المنظر للنهضة العربية وأنه حمل على عاتقه مهمة البحث في السبل التي يمكن أن تضع فكرا عربيا خاصة وإسلاميا بصفة عامة.

والنهضة العربية في كتاباته تمثل مرحلة تاريخية وفكرية ساهمت في تنامي الوعي العربي الحديث حيث تتبع الجذور وربطها بالتحولات السياسية والفكرية والإجتماعية رغم التشردم الذي شهدته المنطقة . وزاوج بين النهضة السابقة العلمية والفكرية مع إبراز لنا دور المثقفين والمفكرين كالكواكبي وناصر اليازجي وإبنه إبراهيم منظري النهضة الأدبية . والإرساليات التبشيرية التي أعطت دفعا في ظهور تطور الفكر النهضوي

جعل أنطونيوس من نمو الوعي القومي فهم التحولات السياسية التي شهدتها المشرق العربي وصولاً إلى أحداث الثورة العربية فأنطونيوس فتح الطريق أمام كل العقول المستقبلية التي تعيش إغتراباً واقعياً وحضارياً تستتير وتعيد للعقل العربي فعالياته وتضعه على رأس هرم الحضارة لا أسفلها.

-وخلاصة القول نقول أن الإرث العربي من رواد ومفكرين والموروث الإسلامي وإنتقاء ما جاءت به الحداثة الغربية بما يناسب مع مقوماتنا الدينية والإسلامية تتحقق النهضة وتنهض من سباتها وبفضلهم إنتقلت الأمة العربية من الجمود الفكري إلى التنوير العقلي والحس النقدي

ولكن يطرح سؤال من خلال ما يقع من لبس في ذهني عند خوضي في هذا البحث الفكري الا وهو العرب إلى أين ؟

الملاحق

الملحق رقم 01 : محمد عبده ص



محمد عبده:¹ (1266 - 1323 هـ / 1849 - 1905 م)، مفكر إسلامي وعالم دين مصري، وفقه وقاض وكاتب مجدد، يعد أحد دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، ورمز التجديد في الفقه الإسلامي، أسهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر.

¹ عادل نويهض (1988)، مُعجم المُفسِّرين: من صدر الإسلام وحَتَّى العصر الحاضر (ط. 3)، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ج. الثاني، ص. 566، OCLC:235971276، QID:Q122197128



جمال الدين الأفغاني وبالكامل محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأسد¹

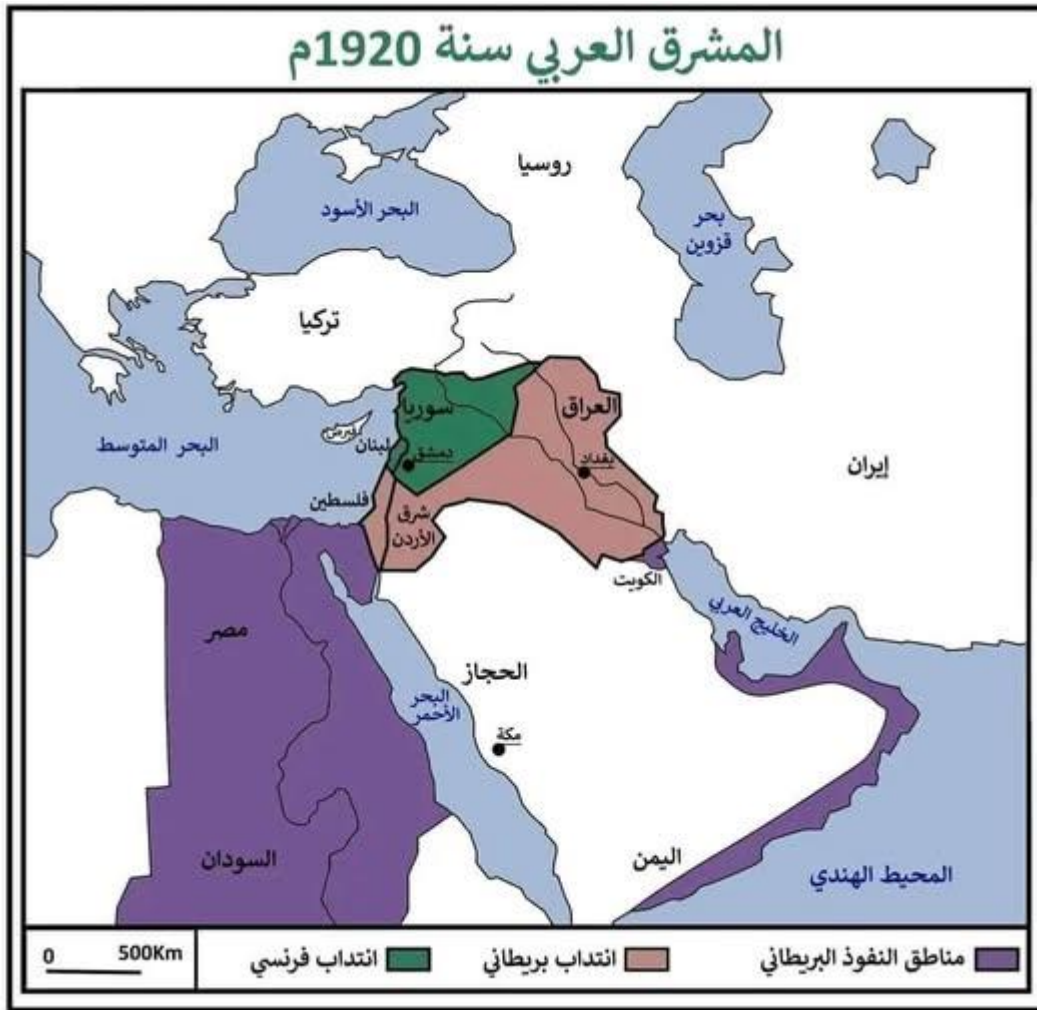
آبادي (1838 - 1897)، أيدولوجي ومفكر إسلامي وناشط سياسي، يُعتبر من مؤسسي حركة الحدائثة الإسلامية وأحد دُعاة الوحدة الإسلامية في القرن التاسع عشر، جاب دول العالم الإسلامي ومدن أوروبا لندن وباريس واستقر أخيرًا في الأسنانة «إسطنبول حاليًا» وتوفي فيها.



جورج حبيب أنطونيوس¹ (1892 دير القمر - 1942) أول مؤرخ للقومية العربية.

ولد جورج أنطونيوس في دير القمر وتخرج من جامعة كامبردج حيث حصل على شهادة في الهندسة أهلتة للعمل في بلدية الإسكندرية، غير أنه ما لبث أن انتقل إلى فلسطين والتحق بدائرة المعارف حيث وصل إلى منصب مساعد المدير العام. عمل سكرتيراً للوفد العربي إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام 1939

¹ كامل سلمان الجبوري (2003)، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، بيروت: دار الكتب العلمية،



قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أنيس وآخرون، *المعجم الوسيط*، دار المعارف، ط2، 1973م، ج1.
2. إبراهيم عبده، *تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية 1797-1801*، القاهرة، مطبعة التوكل، 1941م.
3. إبراهيم عبده، *تاريخ الوقائع المصرية 1828-1942*، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط3، 1983م.
4. إبراهيم عبده، *تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية*، القاهرة، مكتبة الآداب، ط2، 1945م.
5. ابن منظور، *لسان العرب*، تحقيق عبد الله العلي، بيروت، دار لسان العرب، مج3.
6. أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط4، 1992م.
7. أحمد زكي صلاح، *أعلام النهضة في العصر الحديث*، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط1، 2003م.
8. ألبرت حوراني، *الفكر العربي في عصر النهضة: 1798-1939*، ترجمة كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر، 1968م.
9. أمين سعيد، *الثورة العربية الكبرى: النضال بين العرب والترك*، ج1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
10. أنطونيوس، جورج، *يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية*، تقديم نبيه أمين فارس، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، ط8، 1987م.
11. برنارد لويس، *الغرب والشرق الأوسط*، ترجمة نبيل صبحي، بيروت، دار العلم للملايين.
12. توفيق برو، *العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914م*، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة، 1991م.

13. جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2016م.
14. جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، القاهرة، دار الفكر العربي.
15. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/2000م.
16. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق المنصف الشنوفي، ج1، تونس، بيت الحكمة، 2013م.
17. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت، دار العلم للملايين.
18. رفاعه رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012م.
19. ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
20. ساطع الحصري، ما هي القومية؟، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م.
21. ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
22. سليمان موسى، الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، بيروت، دار النهار.
23. عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1989م.
24. عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحقيق محمد عمارة، القاهرة، دار الشروق، ط2، 2009م.
25. عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م.

26. عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م.
27. عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، القاهرة، دار المعارف.
28. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، بيروت، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط3، 1987م.
29. عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، مطبعة صلاح الدين الكبرى، 1934م.
30. عمرو عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
31. قسطنطين زريق، معنى النكبة، بيروت، دار العلم للملايين.
32. قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين.
33. لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط2، المطبعة الكاثوليكية، 1960م.
34. محمد الأخضر عبد القادر، عوامل النهضة العربية الحديثة، مطبوعة بيداغوجية، جامعة سطيف 2، الجزائر.
35. محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م.
36. محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق محمد عمارة، ج2 وج3، القاهرة، دار الشروق.
37. محمد عبده، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تحقيق صلاح الدين البتاني، القاهرة، دار العرب، ط3، 1993م.
38. محمد عبده، دروب النهضة: أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة، عمان، دار الأعلام، ط1، 1424هـ/2003م.
39. محمد عبده، رسالة التوحيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
40. محمد عمارة، الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، القاهرة، دار الشروق، 1995م.

41. محمد عمارة، الإمام محمد عبده: مجدد الدنيا بتجديد الدين، القاهرة، دار الشروق، 1988م.
42. محمد عمارة، الصحة الإسلامية والتحدى الحضاري، القاهرة، دار الشروق، 1991م.
43. محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، 1991م.
44. محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني وموقف الشرق وفيلسوف الإسلام، القاهرة، دار الشروق، 1988م.
45. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، القاهرة، دار الشروق، 1998م.
46. محمد محمود شلباية، جورج أنطونيوس: الطموح التواق: ما بين رومنسيات الخيال والغموض الاستعماري وجدل القومية المتدفق، عمان، 2022م.
47. محمد مصطفى زيادة، في سبيل النهضة العربية: بحوث في التاريخ والحضارة، القاهرة، دار المعارف.
48. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة، د.ط، 2007م.
49. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
50. معجم مجاني الطلاب، بيروت، منشورات دار المجاني، ط4، 1998م.
51. ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ترجمة كتاب جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، بيروت، دار العلم للملايين.
52. نور الدين زين، نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، بيروت، دار النهار.
53. نور الدين مسعودان، أعلام الجزائر، الجزائر، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
54. نيكولا الترك، الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق ياسين سويد، بيروت، دار الفرابي، ط1، 1990م.

55. يوسف الشويري، القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي: نظرة

تاريخية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م.

56. يوسف قزما خوري، نغير سورية، بيروت، دار فكر للأبحاث والنشر،

1990م.

ثانيا: المقالات والدوريات

1. عبد العليم، فاتح، «آليات تفعيل استراتيجيات التعليم في ضوء المقاربة

بالكفاءات»، مجلة تعليمية، المجلد 03، العدد 07، 2015م.

2. عزيزو، محمد، «صراع القيم في الفكر النهضوي العربي الحديث»، مجلة

المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، المجلد 26،

العدد 1، 2022م.

3. فوكة، سفيان، «مواجهة السلطوية في الفكر العربي الحديث؛ بواكير النهضة

أنموذجاً»، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 8، 2021م.

4. ميلة، الطاهر، «جهود رواد النهضة العربية في تهيئة اللغة العربية لنقل

المعارف الحديثة»، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 18، العدد 2،

الجزائر، 2022م.

5. نياطي، هجيرة، «استراتيجيات التعليم والتعلم في ضوء التكنولوجيا الحديثة»،

مجلة التعبير، المجلد 04، العدد 01، 2022م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. درويش، عبد المالك هيزب الشافعي، النهضة العلمية في مصر على عهد

محمد علي باشا (1805-1848م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في

التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2016-2017م.

2. صغيري، منير، الفكر الإصلاحي-التجديدي للشيخ محمد عبده وأثره على

الحركة الإصلاحية في الجزائر (1903-1931)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماجستير، جامعة الوادي، الجزائر، 2016م.

المدخلات والدراسات الجامعية

1. بن قيدة، محمد، «مقومات النهضة وشواهدا من الأحاديث النبوية عند الشيخ العربي التبسي: من خلال مقالاته»، مداخلة في الملتقى الوطني: الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين: الجهود والمناهج والاتجاهات، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 6-7 فيفري 2024م.
2. بن مخاشن، سعيد، «عوائد البعثات العلمية في العصر الحديث: مصر نموذجًا»، مقال منشور بتاريخ 6 يناير 2021م.
3. حميد، عبد الله، «الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي المعاصر»، دراسة جامعية منشورة ضمن ملف الفكر الفلسفي والأدب الفلسفي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2024-2025م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

أ	شكر وعرفان إهداء مقدمة
الفصل الأول الاطار المفاهيمي والتاريخي للنهضة العربية	
09	المبحث الأول: مفهوم النهضة العربية
09	المطلب الأول: تعريف النهضة العربية لغة اصطلاحا
11	المطلب الثاني: عوامل ظهور النهضة العربية
19	المطلب الثالث: خصائص الفكر النهضوي العربي
25	المبحث الثاني: السياق التاريخي للنهضة العربية
25	المطلب الأول: أوضاع المشرق العربي في القرن 19 م
27	المطلب الثاني: أثر الإصلاحات العثمانية
28	المطلب الثالث: أثر الاحتكاكات بالغرب والاستعمار الأوروبي
31	المبحث الثالث: رواد النهضة العربية
31	المطلب الأول: التيار الإصلاحى الدينى
33	المطلب الثاني: التيار القومى العربى
35	المطلب الثالث: التيار الليبرالى الثقافى
الفصل الثانى: جورج انطونيوس وسياقه الفكرى والسياسى	
42	المبحث الأول: حياة جورج وتكوينه الفكرى
43	المطلب الأول : نشأته وتعلمه
45	المطلب الثانى: المناصب التى شغلها
46	المطلب الثالث: المؤثرات الفكرية والسياسية فى شخصيته
49	المبحث الثانى: كتابات جورج انطونيوس
49	المطلب الأول: التعريف بالكتاب يقضة العرب
51	المطلب الثانى: أهم أفكاره السياسية والفكرية

53	المطلب الثالث: مكانته في الفكر القومي العربي
56	المبحث الثالث: منهجه في كتابة التاريخ
56	المطلب الأول: اعتماده على الوثائق والمراسلات
57	المطلب الثاني: النزعة القومية في تسيير الاحداث
59	المطلب الثالث: النقد الموجه لمنهجه التاريخي
	الفصل الثالث: النهضة العربية في فكر جورج انطونيوس
63	المبحث الأول: النهضة كما رآها انطونيوس
63	المطلب الأول: العلاقة بين النهضة والقومية
66	المطلب الثاني: دور اللغة والثقافة والجمعيات
69	المطلب الثالث: الثورة وما ترتب عليها
71	المبحث الثاني: نقد وتحليل اطروحاته
71	المطلب الأول: البعد الموضوعي والانتقادات العربية الغربية
73	المطلب الثاني: أثره الفكري في الفكر العربي المعاصر
75	المبحث الثالث: المؤيدون والمعارضون للفكر النهضوي لأنطونيوس
75	المطلب الأول: المؤيدون : ساطع الحصري، قسطنطين رزيق، الحوراني
76	المطلب الثاني: المعارضون: برنارد لوين، ...
78	المبحث الرابع: تقييم فكره النهضوي
78	المطلب الأول: نقاط القوة
79	المطلب الثاني: نقاط الضعف
80	المطلب الثالث: القيمة الفكرية
95	الخاتمة
97	الملاحق
103	المصادر والمراجع
120	فهرس المحتويات
123	الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع النهضة العربية في كتابات جورج أنطونيوس، من خلال دراسة مفهوم النهضة وسياقها التاريخي والفكري، ثم تحليل رؤية أنطونيوس لعوامل نشأتها وتطورها وعلاقتها بالقومية العربية. وركزت الدراسة على دور اللغة والثقافة والجمعيات، وموقفه من الثورة العربية ونتائجها، مع عرض أبرز الانتقادات الموجهة إلى تصورات، وصولاً إلى إبراز قيمتها وحدودها الفكرية والتاريخية. وخلصت الدراسة إلى أن النهضة العربية كانت نتاج تفاعل عوامل ثقافية وفكرية وسياسية متعددة، وأن كتابات أنطونيوس قدمت إسهاماً مهماً في دراسة اليقظة العربية والحركة القومية، مع ضرورة قراءتها قراءة نقدية وفي ضوء تعدد التفسيرات التاريخية.

الكلمات المفتاحية: النهضة العربية؛ جورج أنطونيوس؛ اليقظة العربية؛ القومية العربية؛ اللغة العربية؛ الثقافة العربية؛ الجمعيات العربية؛ الثورة العربية.

Abstract

This study examines **the Arab Renaissance in the writings of George Antonius**, focusing on his interpretation of its origins, development, and relationship with Arab nationalism. It explores the role of language, culture, associations, and the Arab Revolt in shaping Arab consciousness, while also analyzing the main criticisms directed at Antonius's views. The study concludes that the Arab Renaissance resulted from the interaction of various cultural, intellectual, and political factors, and that Antonius's writings represent an important contribution to the study of the Arab Awakening and Arab nationalism, while requiring a critical reading in light of different historical interpretations.

Keywords Arab Renaissance; George Antonius; Arab Awakening; Arab Nationalism; Arabic Language; Arab Culture; Arab Associations; Arab Revolt.